من جديد حول: مدن وآثار مصرية قديمة في ضوء ما ورد فى بعض المصادر الإسلامية الوسيطة

أ.د.سحر السيد محمود عبد العزيز سالم•

تقديم:

اهتمت بعض الكتابات التاريخية والأثرية الحديثة، بدراسة الكثير من الآثار القديمة، سواء تلك التى ترجع إلى العصور الفرعونية، أو ما تلا ذلك من عصور، بدءاً من العصر البطلمى، وحتى الفتح الاسلامى لمصر، وذلك من خلال ما ورد بشأنها فى المصادر الاسلامية المختلفة.

وتعد كتابات المؤرخ والأثرى الكبير، الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم، من بين أبرز وأول هذه الدراسات. فقد جاء اهتمامه بوصف تخطيط مدينة الاسكندرية، وأهم معالمها البطلمية القديمة من خلال ما ورد عنها فى المصادر العربية[١]، ليؤكد على حرصه على السير فى هذا الاتجاه من الكتابات التاريخية. وكان لمنار الاسكندرية الرصيد الأكبر من اهتماماته فى هذا المجال، فقد تتبع أوصاف الرحالة والمؤرخين المسلمين له[٢]، وخاصة من كانوا من المغاربة والأندلسيين منهم. وقد أعتبر الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن منار الاسكندرية، كان بمثابة الأنموذج الذى احتذاه فنانو ومعماريو المغرب والأندلس، عند بنائهم لمآذن مساجدهم، سواء من حيث صورته الخارجية، أو عمارته الداخلية وكان هذا مجالاً لعدة أبحاث رائدة وأصيلة، قدمها على مدى سنوات من العمل المضنى والدراسة الميدانية المتأنية، استعرض من خلالها تفصيلياً ملامح تأثير المنار السكندرى على مآذن المغربين الأدنى والأقصى[٣]، وكذلك الأندلس، كما أشار إلى أثر صيت مكتبة الاسكندرية، التى رأى أن المجامع العلمية الاسلامية والمكتبات التى

• استاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية - والمدير السابق لمعهد دراسات البحر المتوسط - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

[١] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الطبعة الثانية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩، المقدمة، ص٣-٥، والفصل الأول ص١١-٤٠.

[٢] السيد عبد العزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، أحد أبحاث مؤتمر الإسكندرية الدولى الأول حول التبادل الحضاري بين شعوب البحر المتوسط، ١٥، ١٩ يناير ١٩٩٤. حـ١، صـ١٦٠ ومايليها.

[٣] السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، أحد بحوث كتاب بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، بيروت، ١٩٩٢. حـ٢، ص٤١٩.

انشئت فى ديار الاسلام المختلفة، انما قامت على غرارها[٤]. وتعد الدراسة القيمة، التى قدمتها الباحثة جيلان عباس، عن آثار مصر القديمة فى كتابات الرحالة العرب والأجانب، من بين هذه الدراسات الهامة. وقد أنتقت الباحثة فى دراستها هذه، نماذجاً من الآثار المصرية الفرعونية تمثلت فى الأهرام، وأبى الهول، وكل من مدينة منف وعين شمس. كما تناولت الاسكندرية البطلمية بمعلميها الشهيرين، المنار وعامود السوارى، إلى جانب تغطيتها العلمية لنماذج من الآثار المسيحية[٥].

وسوف نستعرض فى هذه الدراسة المتواضعة بعضاً من الآثار المصرية القديمة، من خلال ما ورد بشأنها من أخبار فى المصادر الاسلامية، والتى لم تتناولها هذه الدراسات السابقة، وتتمثل فى هيكل مدينة اخميم ومومياوات مدينة أبى صير.

إلا أننا سنقدم أيضاً، من منظور ورؤية جديدة، مادة علمية تخص بعضاً من الآثار التى عالجتها وتناولتها هذه الدراسات السابقة، مثل مدينة **منف** من العصر الفرعونى، ومدينة **الاسكندرية**، ومنارها الشهير من العصر البطلمى، من خلال نصوص وردت فى بعض المصادر الاسلامية، أشارت إلى جوانب مختلفة تماماً، فى هذه الآثار، لم تتعرض لها هذه الدراسات التى سبق أن أشرنا اليها.

[٤] السيد عبد العزيز سالم، مجامع علمية إسلامية ومكتبات على غرار مكتبة الإسكندرية، أحد مقالات كتاب بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، بيروت، ١٩٩٢، حـ١، ص٣٥١ ومايليها. ومن أهم هذه المكتبات الكبرى وما يتصل بها من بيوت الحكمة، بيت الحكمة في بغداد وبيت الحكمة برقادة (القيروان) ودار الحكمة بالقاهرة ودار العلم بطرابلس الشام.

[٥] جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، تقديم مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢.

أولاً : الآثـار المصرية الفرعونيـة

١ – مدينة منف فى ضوء الكتابات الاسلامية الوسيطة:

وفيما يتعلق بمدينة منف، فإننا نتفق مع ما توصلت إليه الباحثة جيلان عباس بشأنها فى دراستها القيمة. وهى كانت قد ركزت فى هذه الدراسة على كل ما يتعلق بتماثيل منف[٦]، وموقعها فوق الجيزة[٧]، واهتمام حكام مصر فى العصور الاسلامية بها، من خلال ما ورد فى المصادر العربية غير أنه قد لفت انتباهنا، بعض الاشارات التى وردت فى كتابات فريق كبير من المؤرخين والجغرافيين المسلمين، وجهت تفكيرنا إلى اتجاهات جديدة تخص هذه المدينة فقد أجمع كل من اليعقوبى[٨]وابن خرداذبة[٩]، وابن الفقيه[١٠]، والطبرى[١١] وياقوت الحموى[١٢]وعبد اللطيف البغدادى[١٣]والمقريزى[١٤]،على أنها مدينة [فرعون موسى عليه السلام]. كما أنهم أجمعوا على [حصانتها ومنعتها] فى الزمان الغابر، حيث كان لها فى أوصافهم من الأبواب سبعين باباً، صنعت من الحديد، كما وصفت تلك المصادر جدرانها بأنها أيضاً، قد صنعت من كل من الحديد والصفر[١٥]ولم تكن هذه الاشارات عن الأبواب والجدران الحديدية تعنينا نصاً وحرفاً فنحن نضع احتمال المبالغة فى تلك الأوصاف التى وردت فى تلك المصادر،نصب أعيننا،ولكن ما أثار اهتمامنا هو المعنى الرمزى من وراء هذه الأخبار،التى وردت فى تلك المصادر الاسلامية،والتى كان أصحابها قد استقوها من روايات تاريخية شفوية متواترة،أو من مصادر مكتوبة سابقة عليهم.

وتعنى هذه الاشارات أن أهم ما ترسب وترسخ فى الوجدان والمخيلة الاسلامية، هو مدى ما كانت تتمتع به منف القديمة من حصانة ومنعة.

---

[٦] المرجع السابق، ص١٠٠، ١٠١

[٧] نفسه، ص٩٩

[٨] اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩١، ص٣٣١

[٩] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص١٤١.

[١٠] ابن الفقيه، كتاب البلدان، طبعة بريل، ١٣٠٢، ص٧٣.

[١١] ذكرها الطبري في كتابه "جامع البيان في تفسيرالقرآن" وأشار إلى أن مراكب كل من فرعون، موسى عليه السلام قد وصلت إلى مدينة منف وقد تغلقت أسوارها وليس بها أحد من أهلها. (ارجع إلى المقريزي، الخطط المقريزية، طبعة القاهرة، تحقيق محمد زينهم ومديحة شرقاوي، حـ١، ص٣٨٠).

[١٢] ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة بيروت، ١٩٥٦، مادة منف

[١٣] عبد اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٩٩.

[١٤] المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.

[١٥] يذكر ابن خرداذبة ما نصه "منف مدينة فرعون التى كان ينزلها واتخذ لها سبعين باباً، وجعل حيطان المدينة بالحديد والصفر" (المسالك والممالك، ص ١٤١). وقارن ما ذكره ابن خرداذبة مع ما ذكره ابن الفقيه من نفس الاشارات (كتاب البلدان ص ٧٣).

ولم تكن هذه الأخبار عن حصانة المدينة هى كل ما لفت انتباهنا، حيث أننا لاحظنا، اتفاق المصادر الاسلامية، على وفرة (المجارى المائية)، و(الأنهار) بمنف القديمة، إلى حد أن كل من ابن خرداذبة[١٦] وابن الفقيه[١٧] والمقريزى[١٨]، قد نصوا على أن أنهارها كانت تجرى من أسفل مبانيها ومنازلها،وأن أهلها كانوا يوجهون مياهها كيفما شاءوا، إلى جانب كثرة قناطرها وجسورها فى الزمان القديم[١٩].

وقد دفعنا ذلك الوصف، إلى دراسة ما ورد بشأنها من اشارات فى الكتابات المصرية القديمة، وما تم الكشف عنه فى الدراسات التاريخية المتخصصة فى هذا المجال من الدراسات المصرية فى العصر الحديث، لمقارنة ومطابقة مدى صدق واقتراب ما توصلت إليه المصادر الاسلامية من أخبار، مع الواقع والحقائق التاريخية، التى توصل إليها علماء الآثار ومؤرخو علم المصريات فى عصرنا الحديث.

وبالرجوع إلى أصل مسميات منف، نجد أن المصادر المصرية القديمة قد ذكرتها بأسماء وألقاب عديدة منها، انب حج Inb-hd بمعنى "الجدار الأبيض". كما ورد اسمها بصيغة الجمع بمعنى "الأسوار"[٢٠] وقد أطلق اسم مدينة منف على الأقليم الأول من أقاليم مصر السفلى. ويدل اسمها بمعنى "الجدار الأبيض" أو "الحصن الأبيض" أو "الأسوار والجدران البيضاء" **على حصانتها، وهو ما يهمنا،** لما فى ذلك من ارتباط وثيق مع الاشارات التى وردت فى المصادر الإسلامية عن منعتها وحصانتها.

وتقدم الدراسات التاريخية الحديثة أسباباً مختلفة لاطلاق صفة البياض على "الحصن" أو "الجدار" المنيع الذى يعنى مدينة منف، فهناك من يرى أن تلك الصفة ترجع إلى احتمالية بناء حصن منف القديم وسورها من قوالب من اللبن، مثل بعض أسوار المدن التى كشف عن بقاياها من عصر بداية الأسرات، ثم كسيت بعد ذلك بالحجر الجيرى الأبيض[٢١]وان كان هناك من يرى أن السور الأبيض له علاقة بعين الإله حور البيضاء الموجودة فى مدينة منف، والتى كان لها موضع قداسة[٢٢].

---

[١٦] ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤١.
[١٦]ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٣.
[١٨]المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.
[١٩] المصدر السابق، حـ ١، ص ٣٨٠.
[٢٠]أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٤٩.
[٢١]المرجع السابق، ص ٢٥١ – ويرجع هذا الرأى إلى الدكتور عبد العزيز صالح (حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٨٤).
[٢٢] يرى هذا الرأى الدكتور حسن السعدى ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى (أحمد البربرى المرجع السابق، ص ٢٥١)

كما أطلق على مدينة منف قديماً اسم "برانبو" Pr-Inbw بمعنى (مدينة الجدران)[٢٣]. وفى ذلك أيضاً ما يتفق مع الاشارات الواردة بشأن حصانتها فى المصادر الاسلامية.

وتؤكد الدراسات المتخصصة أن منف عندما اتخذت عاصمة لمصر الموحدة فى بداية عصر الأسرات، قام من بناها سواء كان الملك العقرب أو منى أو أنها انشئت فى عهد أحد خلفائه، بتحويل فرع النيل عنها ناحية الغرب[٢٤].

وكانت منف التى تقع أطلالها على الشاطئ الأيسر للنيل، على بعد ثلاثة كيلو مترات إلى الجنوب من القاهرة، بجوار قرية "ميت رهينة" بمركز البدرشين بمحافظة الجيزة، قد أتخذت عاصمة لمصر الموحدة فى عصر الملك منى، طبقاً لما ذكره هيرودوت، وإن كان هناك من يرى أنها أصبحت عاصمة للبلاد فى عصر الملك زوسر. وما يهمنا أن أول من حكم مصر الموحدة رأى أن أحد فروع النيل كان يطغى على مدينة منف، ويجعلها كالمستنقع الكبير، فتصبح أرضها أشبه بالجزيرة الطافية أو الأرض البارزة، طبقاً لما ورد فى النصوص الدينية، فلجأ أول ملوك الأسرة الأولى ومهندسوه، إلى تحويل فرع النيل عنها ناحية الغرب، ثم شقوا قناة أخرى عن قرب منها ناحية الشمال، وبذلك جف ما حولها، وانصرفت المياه عنها، وتوفرت لها كذلك حماية طبيعية كاملة، فأصبح النيل يحميها من الشرق، وفرعه يحميها من الغرب، والقناة الجديدة تحميها من الشمال. ويؤكد هيرودوت على بناء (منى) أول حاكم لمصر الموحدة لجسر أيضاً لحماية المدينة[٢٥].

ونلاحظ أن تلك المادة التاريخية التى امدنا بها هيرودوت، والنصوص القديمة التى أعتمد عليها فريق كبير من المؤرخين البارزين عند تأريخهم لبداية عصر الأسرات، وانشاء مدينة منف، تتفق إلى حد كبير مع ما ورد من اشارات تاريخية فى المصادر الاسلامية عن وفرة المياه فى منف القديمة إلى حد جريان الأنهار من تحت منازلها وقصورها، كما سبق أن أشرنا. كما أننا نستطيع أن نربط بين المشروع المائى الضخم الذى قام به أول ملك لمصر الموحدة، ومؤسس مدينة منف، بتحويله مجرى النيل عنها ناحية الغرب وبنائه جسراً بها، بالنص الذى أورده المقريزى فى ذلك المعنى فهو يقول " ويروي أن مدينة منف كانت قناطرا وجسوراً بتدبير وتقدير، حتى ان الماء ليجري تحت منازلها

---

[٢٣] نفسه، ص ٢٥٥. وعن بقية المسميات الخاصة بمنف فى الكتابات المصرية القديمة مثل (شروق الأرضين خع تاوى Hc-Bwy) والشروق الجميل (H-nfr- خع نفر) و(حوت كابتاح – مقر روح الاله بتاح Hwt-K3-pth)) وغيرها ارجع (للمرجع السابق، ص ٢٥٤ وما يليها).

[٢٤] أحمد فخرى، مصر الفرعونية، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو ١٩٧٨، ص ٧٦-محمد بيومى مهران، مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٨، ص ٣٢٨ – أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، ص ٢٦٠.

[٢٥] هيرودوت: يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢١٢، ٢١٣- أحمد البربرى، عواصم مصر، ص ٢٦١.

وافنيتها فيمسونه كيف شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا"[٢٦] كذلك نربط بين ما أورده المسعودي في كتابة مروج الذهب من أن النبي يوسف عليه السلام قد اتخذ بمنف مقياساً لمعرفة زيادة النيل ونقصانه[٢٧]، وبين الإشارات التي وردت فى النصوص القديمة عن المشاريع الخاصة بالمياه التي قام بها مؤسس المدينة في بداية عصر الأسرات.

ومما يؤكد على معنى الحصانة والمنعة التي أشارت إليها كتابات المؤرخين والرحالة المسلمين بخصوص منف ما حدث بعد إتمام هذه المشاريع المائية من أحداث، حيث قام مؤسس منف بإحاطتها بالأسوار المنيعة، فأصبحت بذلك كالقلعة الحصينة التي ضربت حولها خنادق الماء.

واستمرت منف تحمل الصفتين في العصور التالية (الحصانة ووفرة الماء) مما جعل أحمس يستخدمها كمركز حربى نهرى، حيث توفر له، من خلالها ميناء نهرياً هاماً وأسطولاً ساعده فى حربه ضد الهكسوس. وقد لعبت منف دوراً مشرفاً فى هذه الحرب التحريرية، لأن طبيعة موقعها قد اكسبتها هذه المكانة الحربية والاستراتيجية، فهى تتوسط أقاليم الوادى، وفيها تجتمع الجيوش لتتحول شمالاً ناحية الشرق وجنوباً ناحية النوبة، وغرباً إلى الواحات الغربية. لقد كان لوجود ميناء نهرى فى منف، يضم اسطولاً ضخماً فضلاً كبيراً فى تحقيق النصر على الهكسوس. ويوجد نص لأحد رجال منف يُحمل لقب "رئيس السفينة" و"قائد السفينة". ويذكر هذا النص أن الملك أحمس محرر مصر من الهكسوس قد كافأه على بطولته بأن أقطعه أرضاً كبيرة فى منف[٢٨]. وكان اختيار أحمس لمدينة منف، لكى تكون مركزاً وقاعدة لانطلاق جيوشه لمحاربة الهكسوس موفقاً للغاية، إذ أن بعد المسافة بين طيبة وأفاريس عاصمة الهكسوس، كان سيصيب الجيوش المصرية بالارهاق، وعلى هذا النحو أتى اختياره لمنف التى حققت له كلاً من الموضع الاستراتيجى المتوسط الهام، فضلاً عن كونها ميناءاً نهرياً من الطراز الأول، وقاعدة لأسطول ضخم اعتمد عليه فى حرب التحرير.

واستمرت منف داراً لصناعة السفن فى عصر الدولة الحديثة، خاصة فى عهد الملك تحوتمس الثالث (١٤٧٩ – ١٤٢٥ق.م) الذى امتدت حروبه باتجاه سوريا وبلاد النهرين. وجعل تحوتمس من ابنه الأمير امنحوتب (امنحوتب الثانى فيما بعد) رئيساً

---

[٢٦] المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.

[٢٧] المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨، حـ١، ص ٣٤٤. وعن عصر دخول النبى يوسف عليه السلام إلى مصر والآراء المختلفة – ارجع إلى (محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، اسرائيل الجزء الثانى، الاسكندرية، مطبعة الأمانة، ١٩٧٣، ص ٢٤٢ وما يليها ويرى الدكتور مهران أن النبى يوسف قد دخل مصر فى عصر الهكسوس.

[٢٨] أحمد البربرى، عواصم مصر، ص ٢٨٠، ٢٨١.

لمصانع العربات والأدوات الحربية بمنف، وكذلك وضع دار صناعة السفن بها، تحت اشرافه وادارته وفى عصر الرعامسة، احتفل ملوك هذه الأسرة بمناسباتهم الدينية فيها.

وكان الملك سيتى الأول كثيراً ما يقيم بها لمراقبة أمور الجيش، ولذلك فقد اتخذ لنفسه مقراً للاقامة فيها. أما الملك رعمسيس الثانى (من حوالى ١٢٧٩ – ١٢١٣ق.م) فقد أقام الكثير من المبانى بمنف، وعنى بالإله بتاح عناية كبيرة، واتخذ لنفسه قصراً فى ضواحيها، كما أقام بها بعض التماثيل الضخمة لنفسه، وهى تلك التى اهتمت الباحثة جيلان عباس بذكر أوصافها من خلال ما ورد عنها من كتابات فى المصادر الاسلامية. غير أن أهم أعمال رعمسيس الثانى بمنف تتمثل فى قيامه بعمل شبكة من القنوات التى كانت تصل مدينة منف ونهر النيل، مما ساعد على خصوبة الأرض من جهة، كما استخدمت هذه القنوات لمنع العربات الحربية للأعداء من التقدم فى عمق الأراضى المصرية من جهة أخرى[٢٩].

ويتضح مما سبق عرضه أن مدينة منف استمرت حتى عهد الرعامسة تتمتع بصفتى **[الحصانة ووفرة المياه]**. ولذلك فقد اتخذها ملوك مصر فى هذه الفترة الزمنية قاعدة حربية استراتيجية من الطراز الأول، واستخدموها أيضاً كميناء نهرى وابتنوا بها داراً لصناعة السفن وتجددت المشاريع المائية بها فى عصر رعمسيس الثانى مما يجعلنا نربط بين ما سبق أن عرضناه من أشارات وردت فى المصادر الاسلامية، عن مناعتها وحصانتها ومشاريعها المائية وقدرة أهلها على التحكم فى الماء وبناء الجسور والقناطر والقنوات، التى وفرت المياه للمدينة بغزارة فى العصور القديمة، كما يجعلنا ذلك نشير إلى صحة بعض القناعات والآراء والانطباعات التى توفرت لدى مؤرخى وجغرافى العصور الوسطى المسلمين بخصوص مدينة منف القديمة.

وفيما يتعلق بالملك مرنبتاح ابن رعمسيس الثانى، الذى يرى فريق كبير من المؤرخين أنه **قد** يكون فرعون الخروج زمن موسى عليه السلام[٣٠]، فقد ولد بمنف، واتخذ منها قاعدة حربية، وبنى بها قصره. ورغم عدم التأكد من شخصية فرعون الخروج، والتثبت أثرياً من ذلك، حتى الآن، إلا أن هذا لا يمنعنا من مقارنة هذه الحقيقة التاريخية الخاصة، باستقرار مرنبتاح فى قصر منيف بمدينة منف، بعد أن قام والده بمشاريع مائية ضخمة أوصلت المياه من نهر النيل إلى أجزاء مختلفة من المدينة، واحتمال كونه فرعون الخروج، بما ورد فى المصادر الاسلامية من اشارات بأن مقر فرعون موسى، كانت تجرى من تحته الأنهار فى هذه المدينة العتيقة.

---

[٢٩] المرجع السابق، ص ٢٨٢ – ٢٨٥.

[٣٠] من هؤلاء نافيل Naville وبترى Petrie وسايس والدكتور عبد الحميد زايد – ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه الآراء ارجع إلى (محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، اسرائيل (٢)، ص ٢٩٢ وما يليها.

واستمرت منف بمثابة الحصن المنيع، والمعسكر المصرى القوى الذى تولى المصريون منه محاولة تحرير البلاد من الغزاة الفرس[٣١] رغم ما كانت قد تعرضت له من تدمير وخراب على أيدى الغزاه الآشوريين ومن بعدهم الفرس.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين قد اتخذوا من الفسطاط التى تبعد عن منف القديمة بمسافة قدرها اثنى عشر ميلاً، حاضرة وعاصمة لهم، لحصانتها ومنعتها. وقد اسسوا فى جزيرة الروضة داراً لصناعة السفن، وهى تعد بذلك أول دار لصناعة السفن البحرية بفسطاط مصر إذ أنها أقيمت سنة ٥٤هـ/٦٧٣م.

ثم أقيمت دار أخرى لصناعة السفن بالقرب من موضع منف الميناء النهرى الفرعونى القديم فى زمن أبى بكر محمد بن طغج الأخشيد، عرفت بدار صناعة مصر فى موضع دار السيدة خديجة بنت الفتح بن خاقان، زوجة أحمد بن طولون على ساحل النيل المحاذى للفسطاط[٣٢].

٢ – هيكل مدينة اخميم بسوهاج (البربا)*

وصف كل من ابن خرداذبة وابن الفقيه اخميم بأنها كورة،شأنها فى ذلك شأن منف والفيوم وأبى صير[٣٣]،فى حين وصفها المسعودى بأنها بلاداً من صعيد مصر[٣٤]أما كل من ابن حوقل[٣٥]والادريسى[٣٦]وابن جبير[٣٧]وابن بطوطة[٣٨]والمقريزى[٣٩]،فقد وصفوها بأنها مدينة.

---

[٣١] أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، ص ٢٨٧.

[٣٢] لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام، بيروت، ١٩٧٢، ص ٨٩، ٩٠).

* تعنى كلمة البربا فى القاموس اللاتينى، اللحية Barba وهى كلمة مؤنثة، كما تعنى (القشرة) أو الشئ الزائد عن الجسد الأصلى –
Latin English Dictionary, Oxford, 1976 وقد أطلقها المسلمون على التصاوير والمعابد والتماثيل والمجسمات

[٣٣] ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٨١، ابن الفقيه، البلدان، ٧٣.

[٣٤] المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محى الدين عبد الحميد حـ١، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٦٠.
٣

[٣٥] ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٤٨.

[٣٦] الادريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٦.

وقد أجمعت هذه المصادر على روعة آثار اخميم، ولا سيما البناء الذى عرف "بالبربا"[٤٠]، وأسماه ابن جبير بالهيكل واعتبره واحداً من عجائب الدنيا فى عصره[٤١] وقد وصفه ابن حوقل بقوله "وبها (اخميم) برباً من أعظم البرابى وأطرفها، وهو مخزن لذخائر القوم الذين قضوْا من أهل مصر بالطوفان قبل وقته بقرانين، واختلفوا فى مائيته فقال بعضهم: يكون ناراً فتحرق جميع ما على وجه الأرض، وقال آخرون: بل يكون ماء. وعملوا هذه البرابى قبل الطوفان. ومنها بمصر وفى أرضها وصعيدها خاصة ما لم ار على وجه الأرض لشئ من ابنيتها شبه رصانة فى الأحجار وأحكام فى التركيب...."[٤٢] ويشير الادريسى إلى أن هذا البربا أو الأثر الضخم قد بنى بالحجارة، وأنه بالمقارنة مع آثار أو برابى كل من اسنا ودندرة فهو "أثبتها بناء، وأحسنها رسوماً، وذلك أن فى هذا البيت بعض صور الكواكب، وبعض صور الصنائع، وصناعها وجمل من الكتابات[٤٣] وسائر العلوم....".

غير أن ابن جبير يعد أكثر من فصّل فى وصف هذا الأثر، وساهم فى تحديد صفته التى بنى من أجلها، فذكر أنه من أعجب **الهياكل**، فيما نصه "**هيكل** عظيم فى شرقى المدينة المذكورة (يقصد اخميم) وتحت سورها، طوله مائتا ذراع وعشرون ذراعاً، وسعته مائة وستون ذراعاً، يعرف عند أهل هذه الجهة بالبربا. وكذلك يعرف كل هيكل عندهم، وكل مصنع قديم. وقد قام هذا الهيكل العظيم على أربعين سارية، حاشى حيطانه، دور كل سارية منها خمسون شبراً، وبين كل سارية وسارية ثلاثون شبراً، ورؤوسها فى نهاية من العظيم والاتقان....."[٤٤]. ويمضى ابن جبير فى وصف سوارى الهيكل أو أعمدته بقوله "والسوارى كلها منقوشة من أسفلها إلى أعلاها وقد انتصب على رأس كل سارية منها إلى رأس صاحبتها التى تليها، لوح عظيم من الحجر المنحوت، من أعظمها، ما كِلنا فيه ستة وخمسين شبراً طولاً وعشرة أشبار عرضاً وثمانية أشبار ارتفاعاً...."[٤٥].

---

[٣٧] ابن جبير، رحلة ابن جبير، طبعة دار الكتاب اللبنانى، تقديم د. محمد مصطفى زيادة، ص ٥٨.
[٣٨] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، طبعة المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٨، حـ١، ص ٢٨.
[٣٩] المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٥.
[٤٠] عرفت الآثار المصرية القديمة التى كانت تحتوى على صور أو تماثيل فى المصادر الاسلامية بالبرابى أو البربا (وقد أطلق كل من ابن حوقل والادريسى وابن بطوطة والمقريزى هذا المسمى على الأثر الذى نتناوله بالدراسة فى اخميم).
[٤١] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨، ٥٩.
[٤٢] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٨.
[٤٣] الادريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٦.
[٤٤] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨.
[٤٥] المصدر السابق، ص ٥٨.

أما سقف الهيكل فكان مكوناً من الألواح الحجرية، المنتظمة، والملتصقة فى اتساق مع بعض البعض. فبدت وكأنها "فرش واحد" على حد تعبير ابن جبير وقد غطيت هذه الألواح بالصور الملونة مما جعل الأمر يختلط على الناظر اليها فيظنها سقف من الخشب المنقوش[٤٦].

ثم أخذ ابن جبير يفصّل فى وصف هذه التصاوير الملونة فذكر أن منها ما كان يمثل طيوراً تبسط أجنحتها وكأنها تهم بالطيران، وبعض من هذه الصور جسدت أشخاصاً بعضهم يمسك بسلاح، والآخر يمسك بطائر، أو كأس، والبعض من هؤلاء الأشخاص يشيرون بأيديهم إلى آخرين. كما جسدت بعض الصور أشكالاً خرافية أثارت رعبه وتعجبه فى آن واحد. ولم تخلو الألواح الحجرية من النقوش الكتابية التى لم يفهمها وظنها من الخط المسند[٤٧].

ويعلو هذا الهيكل سطح مفروش بالألواح الحجرية الضخمة. وكان الهيكل عظيم الارتفاع، ويضم من المجالس والزوايا والمداخل والمخارج والمصاعد والمعارج والمسارب، ما تضل فيه المجموعات البشرية، ولا يهتدى الناس فيه بعضهم إلى بعض إلا بالنداء العالى. وقدّر عرض جدران الهيكل بثمانية عشر شبراً من الحجارة المرصوصة[٤٨] وقد أشار ابن بطوطة إلى النقوش والكتابات والصور، التى بداخل هذا الهيكل، والتى عبرت بعضها فى قوله؛ عن صور للأفلاك والكواكب والحيوانات[٤٩].

ويذكر المقريزى أن هذا البربا أو الهيكل قد خرب[٥٠]وهدم فى سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م.

وإذا ما انتقلنا إلى توضيح مكانة مدينة اخميم فى العصور الفرعونية، فنجد أنها كانت عاصمة للاقليم التاسع، وقد تمتعت بمكانة مرموقة بين أقاليم مصر العليا لقربها من مناطق ذهب الصحراء الشرقية، وتوسطها لطرق الصحراوات الغربية والشرقية، فضلاً عن كونها منطقة زراعية خصبة[٥١]وقد عرفت اخميم فى العصور الفرعونية باسم (ايبو) وظلت عاصمة للاقليم التاسع حتى نهاية العصر الرومانى. وكان معبودها الرئيسى هو الإله مين رب الخصب والنماء.

---

[٤٦] نفسه، ص ٥٨.
[٤٧] نفسه، ص ٥٩.
[٤٨] نفسه، ص ٥٩.
[٤٩] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، حـ١ ص ٢٩.
[٥٠] المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٦.
[٥١] ينثنى نهر النيل انثناءة نصف دائرية عند مدينة اخميم مما أدى إلى ترسب الغرين والطمى بصفة مستمرة فى هذا الموقع مما جعلها من أخصب الأقاليم الزراعية فى الصعيد على الاطلاق (منصور النوبى منصور، اخميم عاصمة الاقليم التاسع، دراسة تاريخية منذ بداية الأسرات حتى نهاية عصر الانتقال الأول – رسالة ماجستير – كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط، ١٩٨٩، ص ٨).

وقد قام لبسيوس Lepsius فى سنة ١٨٤٥م، وهو الذى يعد أول الأثريين الذين بدأوا الاهتمام بها وبآثارها، بتسجيل نقوش معابد اخميم وخاصة معبد مين الصخرى الواقع بمنطقة السلامونى الى الشمال من جبانة الحواويش.

وقد وضعنا نصب اعيننا احتمالية أن يكون هذا المعبد الخاص بالإله مين، هو ذاته "البربا" أو "الهيكل" الذى وصفته المصادر العربية وأعتبرته من عجائب الدنيا.

ولذلك فقد كان لزاماً علينا أن نستعرض أهم معالم معبد الاله مين فى اخميم والتى نوجزها فى أنه كان يقع فى أعلى قمة جبل السلامونى المجاور لجبل الحواويش، من الناحية **الشمالية الشرقية** لمدينة اخميم الحالية. ويمكن الدخول اليه عن طريق بوابة ضخمة منحوتة فى **الصخور**، ومنها يوجد ممر يؤدى إلى الصالة الرئيسية للمعبد، التى يتفرع منها **خمس حجرات**، وبعدها رواق، يؤدى إلى قدس الأقداس. وقد انشئ هذا المعبد للاله مين، فى عهد الأسرة السادسة. ومن الملاحظ أن موقع هذا المعبد فى أعلى قمة جبل السلامونى قد أثار الكثير من التساؤلات، لأنه بموقعه البعيد هذا، يصعّب على المتعبدين مهمة الوصول إليه، مما جعل بعض الباحثين يرجحون أنه قد أختير عمداً ليكون على مقربة من محاجر الأقليم، التى كان يعمل بها عدد كبير من العمال، وذلك كنوع من المعاونة لهم لأن يؤدوا طقوسهم الدينية فى ظل الظروف الصعبة التى يعيشونها[٥٢].

ومن خلال هذا الوصف لمعبد مين، يمكننا أن نستبعد احتمالية كونه "الهيكل" أو "البربا" المقصودة فى المصادر الاسلامية للأسباب التالية:

(أ) أن معبد الاله مين هذا، يقع فى الجهة الشمالية الشرقية لاخميم، فى حين أن ابن جبير قد نص على أن "الهيكل" أو "البربا" كان يقع فى **شرقى اخميم**[٥٣].

(ب) أقيم هذا المعبد فى أعلى قمة جبل السلامونى على ارتفاع ٣٠٠متر فوق سطح الماء، فى حين ذكر ابن جبير أن الهيكل قد بنى تحت[٥٤]أسوار المدينة (بمعنى خلفها) ولم يشر من قريب أو بعيد إلى كونه مبيناً فوق قمة تل أو جبل وأن تكون بوابته محفورة فى الصخور.

(جـ) يتكون معبد الإله مين من خمس حجرات فقط ورواق يؤدى إلى قدس الأقداس، مما يوحى بأنه لم يكن معبداً ضخماً، بنفس الضخامة التى وردت فى الوصف الذى قدمته المصادر الاسلامية للهيكل، والذى أكد ابن جبير على اتساعه الشديد إلى حد أن من

---

[٥٢] المرجع السابق، ص ٢٧٢.
[٥٣] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨.
[٥٤] المصدر السابق، ص ٥٨.

يدخله من المجموعات البشرية كان يضل طريقه بداخله، ولا يصبح أمام الداخلين سوى النداء بالصوت المرتفع للاستدلال على بعضهم البعض كما سبق أن أشرنا.

(ء)نص المقريزى على أن الهيكل أو"البربا" قد خرب وهدم فى سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، فى حين أن معبد الإله مين لا يزال يحتفظ بالكثير من معالمه حتى الآن.

وبالرجوع إلى الدراسات التاريخية والأثرية الحديثة المتخصصة فى دراسة الاقليم التاسع وعاصمته اخميم، وجدنا أن هيئة الآثار المصرية قد بدأت حفائرها فى المدينة نفسها منذ عام ١٩٨٠، وكان من أهم نتائجها اكتشاف أساسات لمعبد ضخم، يعتقد أنه كان المعبد الرئيسى لاخميم. وقد عثر بداخله على عدة تماثيل من أهمها تمثال مريت آمون ابنة رعمسيس الثانى. وقد اندفع بعض الباحثين إلى ترجيح أنه الهيكل أو البربا الذى وصفه ابن جبير فى العصور الوسطى[٥٥]. ونتفق مع هذا الرأى للأسباب التالية:

(أ)- أن هذا المعبد مهدم، ولم يتبق من آثاره إلا القليل، ولم يكشف النقاب عنه إلا بعد الحفر، والكشف عن أساساته. وفى هذا ما يتفق مع ما أورده المقريزى من خراب البربا وتهدمه فى أواخر القرن الثامن الهجرى.

(ب) يقع هذا المعبد فى **مدينة اخميم نفسها**،وليس على مقربة منها أو فى ضاحية تتبع لها،وفى هذا ما يتفق مع ذكره **ابن جبير** من وجود الهيكل تحت (سور اخميم) نفسها.

ونختتم هذا العنصر فى دراستنا عن "البربا" أو "هيكل" اخميم بذكر الرواية التى كانت متواترة وشائعة على زمن المقريزى، والتى أشارت إلى الكيفية التى تم بها تخريب وتدمير هذا الأثر العظيم، حيث ذُكر فى الخطط المقريزية، أن رجلاً من أهل أخميم، يعرف بالخطيب كمال الدين بن بكر الخطيب، قد خربها ونال منها بعض الكنوز والأموال، وأنه أثرى ثراء فاحشاً، ولكن حياته لم تطل ومات[٥٦].

ومن الجدير بالذكر أنه كان سائداً بين الأهالى بأن من يمس هذه البرابى والدفائن الخاصة بالمصريين القدماء بسوء، كان يُحل عليه الوبال وتصيبه الكوارث والمصائب الكبيرة. ولعل ذلك يمثل بداية لما نعرفه اليوم باسم لعنة الفراعنة، ويعد هذا الخبر الذى أورده المقريزى عن وفاة الخطيب كمال الدين الاخميمى السريعة، وهو الذى هدم هيكل أو بربا اخميم سنة ٧٨٠هـ طمعاً فى الأموال الدفينة بداخله، ليس إلا واحداً منها ومثالاً على ما نقول.

---

[٥٥] جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل، ترجمة لبيب حبشى، حـ٢، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٤٩ – منصور النوبى، المرجع السابق، ص ١٢

[٥٦] ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٩، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٧

وبذكر هذا الخبر ننتقل فى دراستنا إلى عنصر آخر يختص بالرأى الذى قدمته الباحثة جيلان عباس من أن **أول اشارة تتعلق بما يعرف بلعنة الفراعنة،** قد ظهرت فى القرن **التاسع الهجرى/الخامس عشر الميلادى** ولم يذكرها سوى الرحالة جيستال[٥٧].

ونختلف مع هذا الرأى، إذ أننا نرجح أن تحديد بدايات ظهور هذه المعتقدات الشعبية بوجود الطلاسم والرصد والأعمال السحرية المقترنة بالآثار المصرية القديمة والتى قد تؤذى من يتعرض لهذه الآثار بالتدمير والنهب إنما قد بدأ منذ **عصر الولاة** زمن الأمويين. لقد كان الأهالى فى مصر، وبعض الولاة، يتخوفون من الحفر فى باطن الأرض سعياً وراء ذخائر وكنوز المصريين القدماء. ولدينا مثال صارخ على ذلك يرجع إلى عصر الوالى **الأموى عبد العزيز بن مروان** (٦٥ – ٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) زمن أخيه الخليفة عبد الملك، فقد أتاه رجل ينصحه بالحفر فى احدى ردائم ودفائن المصريين، وأغراه بوجود كنز عظيم هناك. فأمر له الوالى عبد العزيز بن مروان بنفقة قدرها ألوف من الدنانير، كأجر لمن يستخدمه من الرجال فى عملية الحفر. وشرعوا فى منطقة بها تل كبير، فاحتفروا حفرة عظيمة فى الأرض، وبدأت كنوز المصريين فى الظهور، وأغلبها من الرخام والمرمر على هيئة تماثيل لطيور، أما تماثيل الأشخاص فكانت من الذهب المزين بالأحجار. ووصل الوالى عبد العزيز إلى موضع الحفر ليشرف عليه، وأثناء الحفر وضع أحد العاملين قدمه على احدى الدرجات المصنوعة من النحاس، فظهر سيفان عظيمان فجأة على يمين الدرجة ويسارها، والتفتا فى حركة مباغتة على الرجل، الذى لم يدرك ما حدث، فقطع السيفان جسده فهوى إلى أسفل الحفرة. ولما استقر جسده على بعض الدرج الذى بأسفل هذه الحفرة، اهتز عامود وتحركت جوانب الحفرة، فتهاوت، مما أدى إلى سقوط كل من كان هناك من الرجال القائمين على عملية البحث فى الدفينة. وهلك فى ذلك ألف رجل. فجزع عبد العزيز بن مروان، وقال على حد تعبير المسعودى الذى كان قد زار مصر سنة ٣٣٠هـ زمن أبى بكر محمد الأخشيد: "هذا ردم عجيب الأمر، ممنوع النيل، نعوذ بالله منه! وأمر جماعة من الناس فطرحوا ما أخرج من التراب على من هلك من الناس، فكان الموضع قبراً لهم ...."[٥٨] ويشير تعوذ الوالى عبد العزيز بن مروان بالله من هذه الدفينة باعتقاده بوجود قوى غير خيرة تصيب من يقترب من دفائن المصريين بالأذى.

وقد أشار المسعودى (المتوفى فى منتصف القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى فى سنة ٣٤٦هـ/٨٦٠م) فى موضع آخر فى كتابه "مروج الذهب" إلى أنه قد "اتخذت بمصر البرابى والصور، وأُحكِمت آلاتُ السحر، وجُعِلت فى البرابى صور من يرد من

---

[٥٧] جيلان عباس، آثار مصر القديمة، ص ٨١.

[٥٨] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٦٧ – وقد أخذ عنه المقريزى هذا الخبر فى الخطط، حـ١، ص ١٢٦.

كل ناحية، ودوابهم، إبلاً كانت أو خيلاً، وصوّرت ما يرد فى البحر من المراكب من بُحر المغرب والشام، وجُمعت فى هذه البرابى العظيمة المشيدة البنيان، أسرارُ الطبيعة، وخواصُ الأحجار والنباتُ والحيوان، من الجاذبة والدافعة، وجعلت ذلك فى أوقاتِ حركات فلكية، واتصالها بالمؤثرات العلوية....."[٥٩] لقد عكس لنا المسعودى فى كتاباته، ما كان مترسباً فى النفوس لدى المصريين، ولدى من يأتى إلى مصر زائراً فى عصر المسعودى فى القرن الرابع الهجرى، حيث اعتقد المصريون، والمسلمون على السواء فى هذه الحقبة الزمنية المبكرة من التاريخ الاسلامى فى وجود طاقات سحرية لها ارتباط وثيق بقوى علوية، وطبيعية، وفلكية، وتجسدت جميعها فى الآثار المصرية والمعابد والهياكل والتماثيل والمجسمات التى أسموها "بالبرابى". ويستكمل المسعودى منا كنا قد بدأناه عن الطلاسم المصرية المرتبطة بالآثار بأن هذه الأعمال السحرية كانت تعكس على البرابى صور الجيوش المعادية القادمة لمهاجمة مصر، سواء من جهة الغرب أو من البحر أو من الشام مما أدى إلى حماية البلاد من الغزاة، الذين كانوا يصابون بالآفات فى الناس، والحيوان، بسبب تلك الأعمال السحرية المقترنة بالبرابى المصرية، فهابت الملوك والأمم مصر والمصريين[٦٠].

ويؤكد المسعودى ذلك المفهوم الذى ساد بين الناس فى زمنه بقوله فى موضع ثالث من كتابه "وقد تكلم الناس ممن سلف وخلف فى هذه الخواص وأسرار الطبيعة التى كانت ببلاد مصر..."[٦١].

كما وصف الكتابات التى كانت منقوشة على الأهرام، فإن فيها "علوم وخواص وسحر وأسرار للطبيعة ...". وقد أشار ابن بطوطة أثناء رحلته إلى مصر إلى ارتباط الآثار المصرية ولا سيما الأهرام بالفلك[٦٢].

وأورد المقريزى فى كتابه الخطط العديد من الأمثلة التى تؤكد ما سبق أن أشار اليه المسعودى قبل خمسة قرون من أقتران البرابى المصرية بالأعمال السحرية حيث أشار إلى موت الخطيب الاخميمي المفاجئ سنة ٧٨٠هـ بعد تخريبه لهيكل اخميم كما سبق أن ذكرنا. كذلك ذكر أن رجلاً ألصق شمعة على صورة فى بربا اخميم مما أكسب هذه الشمعة طاقة سحرية مميزة، فكانت إذا تركها الرجل فى موضع التجأت إليها العقارب، وإذا وضع الشمعة فى تابوت اجتمعت العقارب حوله[٦٣]وأشار إلى فعالية الأعمال

---

[٥٩] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٥٩.
[٦٠] نفسه، حـ١، ص ٣٥٩. وقد أخذ عنه المقريزى هذا الخبر، فى الخطط، حـ١، ص ١٢٢.
[٦١] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٥٩.
[٦٢] نفسه، حـ١، ص ٣٦١ – ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٢.
[٦٣] المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٧.

السحرية وكثرة السحرة باخميم فهو فى ذلك يقول "وكانت الأنطاع تجلب من اخميم وبها تُعمل، ويقال أنه كان بها اثنا عشر ألف عريف على السحرة..."[٦٤].

ومن الجدير بالذكر أن المقريزى أورد مثالاً هاماً ضِمن ما ذكره عن الأعمال السحرية والطلاسم المقترنة "ببربا اخميم"، يختص بصورة فى هذا الهيكل الاخميمى، لرجل له قدرة تتعلق بالخصوبة والذكورة. وأن من كان يلتجأ من الرجال لهذه الصورة، يكتسب بدوره قدرة مماثلة. ولا نستغرب من ذكر المقريزى لهذا المثال، لأن الإله المصرى القديم، مين كان هو الاله الذى يعبد فى اخميم. ويعد مين من الإلهة القلائل التى ظهرت فى مصر بصورة بشرية منذ عصر التأسيس بعكس الكثير من الآلهة التى كان يرمز لها بأشكال متعددة لأنواع من الحيوانات والطيور. ودائماً ما كان يُرمز للإله مين على هيئة رجل مكتمل الرجولة، يرتدى رداء ضيقاً ويحمل بأحد ذراعيه شارات الملكية. وظل مين رمزاً للخصوبة والنماء طوال العصور الفرعونية. ولم يطرأ على هذه الهيئة البشرية للاله مين ذات القدرة الذكورية أى تغيير خلال حقب التاريخ المصرى القديم. وقد ظلت عبادة هذا الإله مزدهرة حتى العصر البطلمى[٦٥].

وما نود التأكيد عليه من خلال المثال السابق هو أن المؤرخين المسلمين حتى زمن المقريزى قد توصلوا إلى ما يقترب من الحقيقة التاريخية من خلال معتقداتهم وقناعاتهم تلك فاخميم كانت مركزاً لعبادة إله، اختص بالنماء والخصوبة. وفى هذا بلا أدنى شك ما يشير إلى صحة وعمق الثقافة الشعبية لدى المواطن والمؤرخ المسلم فى العصر الوسيط، فيما يتعلق بالتاريخ المصرى القديم.

ورغم هذه الأفكار عن القدرات الخفية والسحرية المقترنة بالآثار المصرية القديمة، فى العصور الاسلامية، وشيوع فكرة اصابة من يمسها بضرر أو سوء، بالخراب والهلاك، إلا أن ذلك لم يمنع من محاولات الكشف عن هذه الآثار أو الاستفادة من الكنوز التى قد تكون مخبأة بها، أو من أحجارها فى بناء أسوار ومبان اسلامية.

وقد بدأ الخليفة العباسى المأمون هذه المحاولات عندما قدم إلى مصر، فأراد أن يهدم أحد أهرامات الجيزة ليعرف ما بداخلها فحذره بعض المشايخ بالبلاد من ذلك فتخوف فى بادئ الأمر ثم أحدث ثلمة بها[٦٦]باستخدامه المنجنيق. وكذلك ما حدث فى عهد أحمد بن طولون (٢٥٤ – ٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م) الذى كان شديد الاعجاب بالأهرام وبالآثار المصرية القديمة، فكان كثيراً ما يستفسر من حكماء المصريين من الأقباط عن

---

[٦٤] المصدر السابق، حـ١ ص ٦٦٧.

[٦٥] منصور النوبى، المرجع السابق، ص ٢٦٣ – ٢٦٥.

[٦٦] ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٣، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٢٤. وقد عثر المأمون بداخل الهرم على مال وزنه ووجد أنه يقدر بنفس قدر ما أنفق فى الحفر والنقب فتعجب لذلك.

تاريخهم وآثارهم[٦٧] وقد خرج ابن طولون بدوره للتنقيب ذات يوم فى بعض الأهرام على حد ما رواه لنا المقريزى.

أما أبو بكر محمد بن طغج الاخشيد (٣٢١-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م) مؤسس الدولة الاخشيدية فى مصر، فقد أمر بالتنقيب فى باطن الأرض بعد أن أغراه جماعة بالحفر فى الدفائن، للحصول على الكنوز بالقرب من موضع الأهرامات. فأذن لهم الاخشيد بالحفر بشرط استخدامهم الحيلة لتجنب الأعمال السحرية المرتبطة بالآثار المصرية. وقد استخرج تماثيلاً عديدة ذات عيون مرصعة بالجواهر واليواقيت والزمرد والزبرجد إلى جانب الأوانى المرمرية، والرخامية[٦٨].

ويذكر الرحالة عبد اللطيف البغدادى أنه تم هدم عدد من الأهرامات الصغيرة بالجيزة فى زمن صلاح الدين الأيوبى (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م) على يد قراقوش لبناء السور الذى أحاط بكل من القاهرة والفسطاط، وكذلك القناطر الموجودة بالجيزة[٦٩](٦٩). وكذلك كان الحال فى عهد الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الأيوبى (٥٨٩-٥٩٩هـ/١١٩٣-١٢٠٢م) الذى أغراه بعض الجهلة من أصحابه بهدم الأهرام سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م، ويؤكد عبد اللطيف البغدادى أن النقابين والحجارين الذين استخدموا فى هدم الأهرام بذلوا جهداً كبيراً فى ذلك ولكنهم فشلوا واظهروا العجز عن ذلك. ويعلق عبد اللطيف البغدادى بقوله "فإن الرائى لحجارة الهدم يظن أن الهرم قد استؤصل فإذا عاين الهرم ظن أنه لم يهدف منه شئ وإنما جانب قد كشط بعضه ..."[٧٠].

٣ – <u>المومياوات المصرية بأبى صير</u>: يذكر ياقوت الحموى فى معجم البلدان أنه كان يوجد بمصر **<u>أربع قرى</u>** تحمل اسم أبى صير. أما الأولى فهى تلك التى اسماها ياقوت بأبى صير السدر ووصفها بأنها بليدة وتقع بالقرب من الجيزة وبها مجموعة من الأهرام، تعرف لدى مؤرخى علوم المصريات "بمجموعة أهرام أبى صير". ويفصلها عن أهرام زاوية العريان أقل من خمسة كيلو مترات[٧١] ويذكر الدكتور أحمد فخرى أن المؤرخين العرب قد ذكروا آثار سقارة تحت اسم أبى صير[٧٢].

---

[٦٧] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٤٧ – ٣٥٦، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٨.
[٦٨] المصدر السابق، حـ١، ص ٣٦٨ – المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٧.
[٦٩] عبد اللطيف البغدادى، كتاب الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨، ص ٨٩، ٩٠.
[٧٠] المصدر السابق، ص ٩٥.
[٧١] ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٦، حـ١، ص ٥١٠ – أحمد فخرى، الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧.
[٧٢] المرجع السابق، ص ٣٦.

أما المدينة الثانية فهى تتبع محافظة بنى سويف الحالية، وهى التى وصفها الادريسى فى نزهة المشتاق، بعد حديثه عن منية ابن الخصيب والأشمونى بالصعيد، بقوله بأنها كانت "صغيرة القدر"، وأن "أكثر سحرة فرعون كان منها"، وأكد على أنه كان لا يزال على زمنه بها بقية من طلاب السحر واسماها ياقوت بأبى صير قوريدس[٧٣](٧٣). وقد قتل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بها، وفى ذلك يقول الكندى "وقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس، وأبو عون عبد الملك بن يزيد إلى مصر، يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة،وسار مروان إلى بوصير من كورة الأشمونين منزلها ومعه عبد الملك فوافى صالح بن على فى جيوشه وعلى مقدمته عامر بن اسماعيل، واستخلف صالح على الفسطاط محمد بن معاوية بن بحير... وقتل مروان ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائة ..."[٧٤]أما أبو صير الثالثة فهى أبو صير دفدنو،من كورة الفيوم،والرابعة هى بوصير بنا من كورة السمنودية*.

وقد ذكر ابن الفقيه "أبو صير" فى كتابه البلدان على أنها كورة مثل منف ووسيم ودلاس والفيوم واهناس والقيس وطحا وأسيوط واشمونين.

ولم يحدد أى من الأربعة يقصد. ونرجح أنه كان يقصد أباصير دفدنو التى ذكرها ياقوت من كورة الفيوم، وذلك لأن ابن الفقيه اتبعها فى وصفه بالفيوم[٧٥].

ويعد عبد اللطيف البغدادى من أكثر الرحالة المسلمين الذين أفاضوا فى وصف بعض الملامح من الجوانب الأثرية والحضارية فى أبى صير، وان كان لم يحدد فى كتابه أى من المدن أو القرى الأربعة التى حملت هذا الاسم كان يقصد. ونرجح أن عبد اللطيف البغدادى كان يشير إلى أبى صير السدر القريبة من الجيزة[٧٦]لأنه ختم حديثه عنها بذكر أنها كانت كثيرة الأهرام، مما يجعلنا نغلب احتمال كونها أبى صير الشمالية التى وصف الدكتور أحمد فخرى مجموعة أهرامها مع مجموعة أهرام الجيزة وزاوية العريان.

وسوف نركز فى هذا العنصر من الدراسة على "الدفائن المصرية" فى العصور الوسطى الاسلامية وعلى وجه الخصوص فى مدينة أبى صير السدر التى امتلأت بها، وسنوضح مدى ما توصل إليه المسلمون فى هذه العصور من معلومات وأخبار عن طرق دفن المصريين القدماء لموتاهم، وتحنيطهم لهم، والمواد التى استخدموها فى ذلك،

---

[٧٣] الأدريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٤ – وعن مسمى قوريدس ارجع إلى ياقوت الحموى، حـ١، ص ٥٠٩.

[٧٤] الكندى، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق – رفن كست بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٤.

* ياقوت الحموى، معجم البلدان حـ١، ص ٥١٠.

[٧٥] ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٣.

[٧٦] عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص ٩٧.

والمسميات التى أطلقها المسلمون على الموتى من المصريين القدامى، ومدى اقتراب ذلك من الواقع والحقيقة التاريخية.

لقد عبر المسعودى بعبارة موجزة فى كتابه مروج الذهب عن ذلك بقوله "لمصر اخبار عجيبة من الدفائن... وما يوجد في الدفائن من ذخائر الملوك التي استودعوا الأرض"[٧٧].

غير أن عبد اللطيف البغدادي قد أسهب في وصف ما عُثر عليه في مدافن المصريين، لاسيما تلك المدافن التي ترجع إلى مدينة أبى صير السدر. ويركز أنه وجد "في مدافنهم ببوصير من العجائب ما لا يفي به هذا الكتاب"[٧٨] وهو يقصد بذلك كتابه الافادة.

وكان المؤرخون والرحالة المسلمون يعبرون عن موتى المصريين القدماء بقولهم "الرمم البالية، والأجسام الفانية"[٧٩]ولكن عبد اللطيف البغدادى قد قدم إلينا إشارة هامة فى كتابه حيث ذكر أن المصريين من الأهالى قد إعتادواطلاق اسم "المومياء" و"المومیا" على أجساد الموتى فى الدفائن المصرية القديمة.

وقد شرح عبد اللطيف البغدادى من خلال ما توصل إليه من معلومات الطريقة التى كان المصريون فى العصر الفرعونى يدفنون بها موتاهم. فيذكر أنهم كانوا يقيمون تحت الأرض "نواويس" فسيحة الأرجاء محكمة البناء"[٨٠] ويتضح من ذلك الوصف أنه كان يقصد الجبانات والمقابر المصرية القديمة. كما يشير إلى أن المصريين القدامى كانوا يلفون موتاهم بأكفان مصنوعة من نبات القنب. وقد يلفون الميت الواحد بأكثر من ألف ذراع من هذا الكفن، فقد اعتادوا تكفين كل عضو على انفراد، كاليد، والرجل، والاصبع، ثم يقومون بعدذ لك بلف جثمان الميت كله فيصبح كالحمل العظيم[٨١].

ويستطرد عبد اللطيف البغدادى بقوله أن هؤلاء الموتى كانوا يوضعون فى توابيت مصنوعة، إما من خشب الجميز السميك، أو من الحجارة، أو الرخام.

---

[٧٧] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٢٦٦.

[٧٨] عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ١١٠.

[٧٩] المصدر السابق، ص ١١٠ – المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٧.

[٨٠] لا علاقة لكلمة Mummy التى تعنى مومياء عند كل من اليونان والرومان بمومياوات المصريين – فكلمة "مومیا" عند الرومان فى اللغة اللاتينية، تعبر عن أسماء رومانية لأشخاص عاديين. أما كلمة Mummy التى تعنى المومياء المصرية، فهى كلمة من أصول فارسية Mumayim وهى مشتقة من الكلمة الفارسية Mum والتى تعنى الشمع – لأن الشمع والتوابل كانت تستخدم فى عملية التحنيط.
Etymological Dicctionary, London, Chambers 1936.
ومن خلال هذا التعريف نرجح أن تكون كلمة مومياء قد ظهرت للتعبير عن الموتى المحنطين من المصريين القدماء عندما غزا الفرس مصر فى العصر القديم.

[٨١]المصدر السابق، ص ١٠٨.

وأورد لنا خبراً غاية فى الغرابة مفاده أن بعض هذه الجثامين، كانت تدفن فى آنية كبيرة مليئة بالعسل. وروى أن بعض الثقاة من معارفه، كانوا يتجولون بالقرب من الأهرام، فصادفوا دناً مملوءاً بالعسل، فأكلوا منه حتى علق فى إصبع أحدهم شعر، فجذبه، فظهر لهم صبى صغير، متماسك الأعضاء، محلى جسده بالحلى والجواهر[٨٢].

وأوضح عبد اللطيف البغدادى أن جباه هؤلاء الموتى وعيونهم وأنوفهم كانت تحلى بورق من الذهب كالقشرة، وربما غطى جسد الميت كله بقشرة ذهبية كالغشاء. وذكر أن بعض قضاة أبى صير قد أخبروه أنهم نبشوا ثلاثة قبور مجاورة لمدافنهم، فوجدوا على كل ميت، قشراً رفيعاً من الذهب، وبكل قشرة سبيكة ذهبية، وأن وزن هذه السبائك الثلاثة قد بلغ تسعة مثاقيل. وأكد على أن المصريين القدماء اعتادوا دفن الذهب والحلى والجوهر مع الميت، وكذلك آلته التى كان يزاول بها العمل فى حياته. وقدّم أمثلة على ما يقول، فأشار إلى عثور بعض الأهالى على الآلات التى يستخدمها المزين فى احدى المقابر، وهى المسنا والموسى، كما عثر بعضهم على آلة الحجام، وعند آخر على آلة الحائك، وعلّق الرحالة البغدادى على ذلك بقوله "ويظهر من حالهم أنه قد كان من سنتهم أن يدفنوا مع الرجل آلته وماله"[٨٣].

كما أشار إلى اعتياد المصريين القدماء على دفن حيواناتهم معهم فى مدافنهم، سواء من الطير، أو الوحش، أو الحشرات. وكانوا يكفنونها بالأكفان المصنوعة من القنب ويحكمون تقميطها عليهم. وضرب لنا أمثلة على ذلك، فأشار إلى عثور المصريين على زمنه على عجل صحيح، قد كفن باحكام، وكذلك على صقر، التفت حوله لفائف الثياب، فلم تسقط من جسده ريشة واحدة، كما عثروا على عصفور، واسماك محنطة، وكلاب، وأبقار، وأغنام، وماعز، وثيران، وسنانير، وسحالى، وجميعها مكفنة بخرق القنب[٨٤].

وانتقل عبد اللطيف البغدادى بعد ذلك إلى الحديث عن المادة التى كان يتم بها تكفين الميت، وهو ما نسميه اليوم "بالتحنيط". ويذكر أنه شاهد مومياء، سوداء اللون كالقار. وأكد على أن رائحة الصبر والقار، والزفت، والمر كانت تفوح من هذه المومياوات خاصة إذا ما اشتد عليها حر الصيف. وأشار إلى ما ذكره جالينوس من أن القار **والنفط** كانا يستخدما فى كفن الموتى من المصريين[٨٥].

كذلك وصف عبد اللطيف البغدادى بعض المومياوات غير البشرية، من ذلك وصفه لبقرة بقوله "وجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء، تقترب إلى السواد، ويخرج العظم من تحتها أبيض، وبعض العظام أحمر، وبعضها أسود،

---

[٨٢] نفسه، ص ١٠٨.
[٨٣] نفسه، ص ١٠٨.
[٨٤] نفسه، ص ١١٠، ١١١.
[٨٥] نفسه، ١١٠.

وكذلك فى عظام الآدمى، ولا شك أن الأكفان كانت تبل **بالصبر والقطران** وتُشَرَّب به ثم يكفن بها، فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه، وما نال منها العظم صبغته فأحمر وأسود ..."[٨٦].

وأورد عبد اللطيف البغدادى خبراً غاية فى الأهمية أثناء سرده لما رآه فى مدينة أبى صير، مفاده أن **التجارة فى الآثار المصرية القديمة كانت شائعة ومعروفة فى مصر بين الناس عند زيارته لها.** [٨٧]ومن الجدير بالذكر أن البغدادى قد زار مصر مرتين، احداهما فى زمن السلطان العادل أبى بكر أخى صلاح الدين. وكانت زيارته هذه فيما بين عامى ٥٩٣، ٥٩٨هـ[٨٨]. وكانت مصر تعانى آنذاك من مجاعة أعقبها، وباء، أدى إلى موت عدد كبير من أهلها. وقد أشار إلى الأوضاع المتردية فى البلاد لا سيما فى اطفيح والقاهرة والحوف الشرقى والاسكندرية التى كان يموت فيها يومياً سبعمائة شخص من جراء هذا الوباء[٨٩] وقد أورد ما يفيد بأن الناس قد أكلت بعضها البعض حية وميتة، وقدم أمثلة مختلفة على ذلك. وأشار إلى أن نبش القبور وأكل الموتى، وبيع لحمهم، كان شائعاً، كما أنه رأى الناس يتخطفون بعضهم البعض، وأنه شاهد امرأة تأكل جسد زوجها بعد أن مات، وأخرى عجوز تأكل لحم حفيدها[٩٠].

ولذلك فنحن نرجح أن "التجارة فى الآثار" قد شاعت فى ظِل هذه الظروف الاقتصادية المتردية التى كانت تمر بها مصر عند زيارة عبد اللطيف البغدادى لها.

وقد اشترى عبد اللطيف البغدادى أجزاءاً من بعض المومياوات للتعرف عليها، وأشار إلى ذلك بقوله "وأما ما يوجد فى أجوافهم وأدمغتهم من الشئ الذى يسمونه **موميا فكثير جداً، يجلبه أهل الريف إلى المدينة، ويباع بالشئ النزير.** ولقد **اشتريت** ثلاثة رؤوس مملوءة منه بنصف درهم. وأرانى بائعاً جولقاً مملوءاً من ذلك فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا المومياء. ورأيته قد داخل العظام، وتشربته وسرى فيها حتى صار كأنها جزء منه. ورأيت أيضاً على قحف الرأس أثر ثوب الكفن وأثر النساجة قد انتقش فيه كما يرسم على الشمع....."[٩١].

ومما سبق يتبين أن المؤرخين والرحالة المسلمين قد توصلوا إلى أخبار ومعلومات تخص عالم الموتى فى مصر القديمة، تكاد تقترب من كثير من الحقائق التاريخية، فهم عرفوا مسمى "المومياء" الذى نستخدمه فى عصرنا الحديث، والذى انتقل إلى اللغات الغربية التى تطلق اسم Mummy على جثامين المصريين فى العصر القديم. كما

---

[٨٦] نفسه، ١١١.
[٨٧] نفسه، ص ١٠٩.
[٨٨] السيد عبد العزيز سالم،التاريخ والمؤرخين العرب،طبعة مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧،ص ٢١٩.
[٨٩] عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ١٣٢ وما يليها.
[٩٠] المصدر السابق، ص ١٣٦.
[٩١] نفسه، ص ١٠٩.

توصل المسلمون فى العصور الوسطى إلى صورة وان كانت بدائية لما كانت عليه وسائل حفظ أجساد الموتى من التلف والتحلل. إلى جانب لجوئهم إلى الاتجار فى هذه الأجساد الذى يؤكد معرفتهم بقيمة هذه الآثار إلى حد أنهم اتجروا بها.

كذلك أشار المسلمون فى كتاباتهم إلى تقدير المصرى القديم للحيوان إلى حد أنه دفنه معه، وكفنه محنطاً فى توابيت به، لينتقل معه إلى العالم الآخر.

وإذا رجعنا إلى بعض الدراسات الحديثة التى تناولت عملية التحنيط عند المصريين القدماء نجد أن الهدف منها عندهم كان ذا شقين، أولهما هو معاملة جسد المتوفى بطريقة لا تجعله يفنى، وثانيها هو المحافظة على شكل الجسد كما كان عليه فى الحياة. وقد بدأت عملية التحنيط تأخذ طريقها فى عصر الأسرة الثالثة، إذ وجدت توابيت لحفظ المومياء، وتوابيت أخرى بها أربعة أوان من المرمر لحفظ الأحشاء المحنطة. ومن الأمثلة الدالة على التحنيط فى عصر الأسرة الثالثة، بقايا مومياء الملك زوسر التى وجدت فى غرفة الدفن فى هرمه المدرج بسقارة. وتعد بقايا مومياء الملكية حتب حرس من الأسرة الرابعة من أقدم الأمثلة على التحنيط. وقد عثر على أحشاء هذه الملكة محنطة فى صندوق من المرمر عرف باسم الصندوق الكانوبى. وقد قسم هذا الصندوق إلى أربعة أقسام زود كل منها بمحلول النطرون المخفف. أما مومياء (نفر) من عصر الدولة القديمة فكانت مغطاة بطبقات متعددة من اللفائف الكتانية، وفى هذا ما يتفق مع وصف عبد اللطيف البغدادى الذى أشار إلى أحمال اللفائف التى كان يلف بها جسد الميت فى مصر القديمة. وقد اعتمد من يقوم بعملية التحنيط من المصريين القدماء على نظرية علمية قوامها استخلاص ماء الجسم وتجفيفه تماماً حتى لا تتمكن بكتيريا التعفن من أن تعيش عليها. وقد تطورت عملية التحنيط عبر العصور الفرعونية المختلفة، إلى أن بلغت أقصى درجاتها فى عصر الدولة الحديثة. وتعتبر مومياوات الملوك تحتمس الأول، وأمنحتب الثانى، وسيتى الأول، ورعمسيس الثانى، والملكة نجمت، من أروع الأمثلة على مدى اتقان المصرى القديم لعمليات التحنيط، وبخاصة فى احتفاظ الجسم بملامحه وأنسجته الأصلية وكانت عملية التحنيط تتم على ثلاثة عشر خطوة، أولها تبدأ بعد وضع جسد الميت فى معمل التحنيط وأو بيت التطهير، على لوحة خشبية لاجراء عملية تشريحية لاستخراج المخ والأحشاء. وقد وجدت احدى هذه اللوحات بمعبد الدير البحرى. وكان استخراج المخ، هو أهم هذه العمليات لعلم المصريين بسرعة تعفنه، ولذلك فقد حرص المصريون على استخراجه من فتحة العظمة المصفوية بالأنف، بواسطة آلة ملوية على هيئة معلقة. ثم تأتى عملية استخراج الأحشاء من خلال شق كان يعمل فى الجانب الأيسر من البطن، بحجر أثيوبى مسنون. وكان القائمون على عملية التحنيط يقومون بغسل الأحشاء بنبيذ التمر، ثم يحنطونه ثانية. وكان يجرى شق آخر بجانب الحجاب الحاجز، لاستخراج الرئتين، غير أن القلب كان يبقى مكانه هو والأوعية الدموية المتصلة به، لاعتقاد المصريين أن القلب كان يوزن فى عملية الحساب

الأخروية، فإذا ثقل كان صاحبه قد اقترف ذنوباً كثيرة وحق عليه العقاب. وكان الفراغان البطنى والصدرى يعقمان بغسيلهما بنبيذ النخيل الذى كان يحتوى على كحول بنسبة ١٤%. وكانت الأحشاء تحنط بدورها بوضع كل جزء منها فى ملح النطرون، وتلف وتوضع فى توابيت عرفت بالأوانى الكانوبية. وكان الفراغان البطنى الصدرى يحشوان بمواد حشو مؤقتة بعد تعقيمهما، تتألف من ثلاثة أنواع من اللفافات لفافات بها نطرون، ولفافات ثانية من قماش الكتان لامتصاص الماء المستخرج، ولفافات ثالثة تحتوى على مواد عطرية لاكساب الجسم رائحة طيبة أثناء عملية التحنيط. وتتمثل العملية الرئيسية فى التحنيط فى وضع الجسم فى كومة من ملح النطرون الجاف، على سرير التحنيط لاستخراج ماء أنسجة الجسم بالضغط الأوزموزى. وكانت هذه العملية تستغرق أربعين يوماً، بعدها يرفع الجسم من وسط النطرون، وتستخرج منه مواد الحشو المؤقتة، التى تكون قد تبللت بالماء المستخرج من داخل الجسم، لأنها لو تركت لأدت إلى تعفن الأنسجة. بعد ذلك يحشى جسد الميت بمواد حشو دائمة، من ذلك حشو فتحات الأنف والفم والأذنين بقطع من قماش الكتان المغموس فى الراتنج المنصهر، وكذلك العينان التى كان يوضع بكل منهما قطعة من هذا القماش المشبع بالراتنج أسفل الجفن، حتى لا تبدو العينان غائرتان.

وتعد زهرة البابونج من أهم الزهور التى كان يستخدم زيتها فى عملية التحنيط، وكذلك التبغ البرى الذى يرى بعض الباحثين أنه كان يستخدم كمبيد للحشرات. ويُعد **الملح والنطرون،** ونشارة الخشب، **والمر،** والقرفة، والبصل من أهم المواد التى كانت تستخدم فى عملية التحنيط لا سيما فى مرحلة الحشو الدائم لتجويف جسد الميت. وتتفق هذه المادة العلمية التى قدمتها لنا بعض الدراسات الحديثة فى علم المصريات، إلى حد كبير مع ما ذكره عبد اللطيف البغدادى الذى أشار إلى الصبر، والقطران، **والنفط،** كمواد استخدمت فى تكفين الموتى، فالصبر يقترب فى وظيفته من المر أما النفط الذى ذكره البغدادى، فهو يتفق مع نبيذ النخيل الذى كان يحتوى على نسبة كحولية كبيرة كما سبق أن أشرنا[٩٢] كما تؤكد الدراسات الحديثة على دفن الحيوانات مع الموتى، وكذلك حلى

[٩٢] بدأت عملية التحنيط فعلياً لأجساد الموتى من المصريين القدماء منذ عصر الأسرة الثالثة. ولكن المقابر المصرية القديمة قبل الألف الثالثة ق.م، تضمنت دلائل واشارات توحى بمحاولة المصريين المحافظة على جسد الميت حتى يبعث مرة أخرى، ففى عصور ما قبل الأسرات، كان الموتى يدفنون فى حفر قليلة العمق تغطى بالجلدوالحصير.

[James, T.G, Ancient Egypt, British Museum, 1987, p. 157]

وكان يدفن فيها الموتى فى وضع القرفصاء. وكذلك طريقة الدفن فى حضارة البدارى التى ابتكر المصريون خلالها وأضافوا فى طريقة دفنهم لموتاهم فقد وضعوهم على هيئة القرفصاء فوق لوحة خشبية بسيطة، كما بطنوا فى بعض الأحوال جوانب القبر بالحصير، ووضعوا وسائداً تحت رءوس موتاهم. (محمد بيومى مهران، مصر منذ أقدم العصور وحتى قيام الملكية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢٤٩). ولكن لم تتم فى هذه المرحلة أية عمليات خاصة بالتحنيط حيث كان يتم تغطية الجثة بحصير

الميت وجواهره معه، مما يتفق مع ما ورد فى كتابات البغدادى إلى جانب اتفاق اشارته إلى الكسوة الذهبية لبعض التوابيت والموتى مع المكتشفات الأثرية الحديثة.

ثانيا: الآثار المصرية البطلمية

١- منار الاسكندرية أنموذجاً لمنار مدينة قادس فى شبه الجزيرة الإيبيرية:

اعتبر منار الاسكندرية من عجائب الدنيا في العصر القديم ولهذا فقد اصبح موضوعاً رئيسياً في كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطى،لأنه كان يهدي السفن الضالة في البحر المتوسط إلى بر الأمان،من خلال اشعال النار في قمته، وأصبح للوافدين بحراً،رمزاً للأمل والنجاة بعد الهلاك،وقد اعتبر القادمون من بلاد المغرب الأندلس،أن ظهور المنار على بعد عشرات الأميال من البحر،بمثابة البشري بالسلامة .

وقد شرع في بناء منار الاسكندرية في أواخر عهد بطليموس سوتر، وتم بناؤه في أول عهد بطليموس فيلادلفيوس (٢٨٠- ٢٧٩ ق.م) على يد المهندس سوستراتوس دي كينيدوس[٩٣] وظل منار الاسكندرية على رفيع مكانته في العصر الوسيط، وإن كان قد أصيب في أجزائه العليا في سنة ١٨٠هـ بسبب الزلازل. وقد أصلحه أحمد بن طولون، وشاهده ابن بطوطة اثناء زيارته [٩٤] لمصر في عامي ٧٢٥، ٧٥٠م وكانت صورته وعمارته الداخلية قد احتذى بها في بعض مآذن المغرب الإسلامي والأندلس. وقد كان ذلك مجالاً لعدة دراسات قيمة، قام بها الأثري والمؤرخ الكبير الدكتور السيد عبد العزيز سالم كما سبق أن أشرنا في بداية الدراسة.

من البوص وأحياناً تلف فى جلد الماعز وفى بعض الحالات كان يلف حول الجسم نسيج من القماس تحت جلد الماعز

[Murray, M.A, Burial Customs and Beliefs in the Hereafter in the predynastic Egypt, Jea, 42, 1956, p 87].

ولكن هذه الطريقة كانت تحول دون تعرض الجسم للحرارة والرمال لأن تبطين جوانب المقبرة كان يمنع تأثير العوامل الطبيعية على حفظ المومياء الأمر الذى أدى إلى نتائج عكسية أسفرت عن تحليل وفناء المومياء ومن ثم فقد عملوا على المحافظة على المظهر الخارجى للجثة بطرق شتى منها لف الجثة بلفائف من الكتان وتغطية الرأس بقناع من الجص والكتان معاً (وفاء أحمد السيد بدار، الطب والأطباء فى مصر الفرعونية حتى نهاية عصر الدولة الحديثة – دراسة تاريخية وحضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب – الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ٩٧). وعن عملية التحنيط ومراحلها والمواد المستخدمة فيها، ارجع إلى (زكى اسكندر، التحنيط فى مصر القديمة، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٠ وما يليها، وفاء بدار، المرجع السابق، ص ١٠٤ وما يليها). وعن خطوات نزع الأحشاء من الجثة ارجع إلى (هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٩٤ وما يليها).

[٩٣] لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٣١).

[٩٤] ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ١٣، ١٤.

ومن الغريب أنه وجد بمدينة قادس في شبه الجزيرة الايبيرية، مناراً ذكرت بعض المصادر العربية، أنه يتشابه إلى حد كبير مع منار الإسكندرية. وقد اسهبت بعض هذه المصادر في ابراز مظاهر التشابه بينهما، إلى حد أنه يفهم من رواية الجغرافي الزهري، أنه كان صورة مصغرة من منار الاسكندرية[٩٥].

ويؤكد أبو حامد الغرناطي ذلك التشابه عندما يصف منار قادس وتمثاله الذي كان يعلوه، بعد أن انتهى من وصفه لمنار الاسكندرية[٩٦].

وقد أطلق أبو حامد الغرناطي اسم "الصنم" على هذا التمثال، الذي كان يعلو منار قادس على غرار التمثال الذي كان يتوج منار الاسكندرية[٩٧].

وقد أشار المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" إلى أن هذا التمثال الذي يعلو منار قادس كان يرى من كورة شذونة لعظمه وارتفاعه[٩٨].

وتذكر بعض المصادر العربية أن منار قادس وصنمه، كان من بناء هرقل من ملوك الروم الإغريق[٩٩] وعرف هذا المنار الايبيري في الروايات اللاتينية باسم اعمدة هرقل Colunnae Herculis[١٠٠] وقد تجسد هذا التمثال الذي كان يعلو منار قادس على هيئة رجل متوشح برداء من منكبيه إلى أنصاف ساقيه، وكان مفرغاً من داخله، ويمد يده نحو الغرب مشيرا بسبابته إلى الزقاق، والعدوة، وكأنه يشير إلى الطريق هداية للمسافرين[١٠١].

---

[٩٥] الزهرى، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨، ص ٩٠ - سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٤٠.

[٩٦] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد، ١٩٦٧، ص ٣١١.

[٩٧] كان يعلو منار الاسكندرية تمثال ضخم من البرونز ارتفاعه سبعة أمتار يمثل إله البحر بوسيدون (السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، ص ١٨٥).

[٩٨] المسعودى، التنبيه والاشراف، ليدن، طبعة مصورة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٦٩.

[٩٩] البكرى، جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى، بيروت، ١٩٦٨، ص ٧٠ – الجغرافى مجهول الاسم، ذكر بلاد الأندلس، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣، ص ٦٦ – الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٤٨. ويسوق كل من ياقوت الحموى والمقرىا رواية جاء فيها أن أحد ملوك الاغريق بجزيرة قادس كانت له ابنة جميلة تنافس ملوك الأندلس على خطبتها، فاشترطت الابنة على المتنافسين أن ينشئوا رحى بقادس لاستخدامها فى حصولهم على أقواتهم اليومية أو أن يتخذوا طلسماً ليحصنوا به الأندلس وكان هذا الطلسم هو صنم قادس (انظر ياقوت معجم البلدان، مادة قادس – المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة،١٩٤٩،حـ١،ص ٢٢٩ – ص ٢٣١).

[١٠٠] حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٣٨٧ – سحر سالم، مدينة قادس ص ٤١.

[١٠١] الزهرى، كتاب، الجغرافية، ص ٩٠ – وارجع إلى ما ذكره الحميرى المصدر السابق، ص ٤٤٨.

ويذكر الزهري الذي قدر له أن يشاهد منار قادس، والصنم اعلاه قبل أن يتعرضا للهدم ٥٤٥هـ (١١٥٠/١١٤٩م) أن كثيراً من الناس كانوا يظنون أن التمثال كان يحمل مفتاحا، في حين أنه لم ير بيد التمثال أي مفتاح، وإنما كان بيده عصا طولا اثنى عشر شبراً، وهو في ذلك يقول "لقد رأيته مراراً، ولم أر في يده مفتاحاً، وإنما يظهر في يده شبه عود صغير لبعده من الأرض، ولقد أخبرني من حضر هدم الصنم، وكان من العرفاء، الذين حضروا هدم تلك المنارة أن الذي كان بيده عصا طولها اثنى عشر شبراً وفي رأسها شكاشف كالفرجلة"[١٠٢].

وقد وصف الزهري هذا المنار وصف المشاهد له، وذكر ما نصه "وكان في هذه المدنية (أي قادس) المنارة العجيبة، **وكانت تشبه منارة الاسكندرية**، وكان ارتفاعها **مائة ذراع**، وكانت مربعة مبنية بالكذان الأحرش المحكم النجارة، معقود باعمدة النحاس الأحمر، وكان في رأس هذه المنارة **مربع ثان قدر ثلث الأول.** وكان في رأس هذا المربع الصغير وجه من المثلث، ففي رأس تحديد المثلث رخامة بيضاء مربعة من شبرين في شبرين، وعلى تلك الرخامة تمثال على صورة ابن آدم من أبدع ما يكون من الاتقان واحسن ما يكون من الإنشاء"[١٠٣].

ومن خلال هذا الوصف الذي قدمه لنا الزهري، الذي كان شاهد عيان على هذا المنار الايبيري، وعلى هدمه، يتبين لنا أن منار قادس كان يتكون من طابقين، الأول منهما مربع، يعلوه الطابق الثاني، الذي كان مربعاً أيضاً، ولكنه أدنى في مساحته من الأول.

وكان معظم أهل قادس يعتقدون أن هذا التمثال قد صنع من الذهب الأحمر بسبب تغير لونه كلما تعرض لضوء الشمس عند شروقها، أو غروبها فيتلون بلونها، فتارة يخضر، وتارة يحمر، وتارة يتخذ لون اللازورد[١٠٤] وقد أشار المسعودي إلى أن هذا التمثال الذي سمى بصنم قادس قد صنع من النحاس[١٠٥].

وبمقارنتنا ورد في هذه المصادر العربية من نصوص، قدّمت أوصافاً لمنار قادس وتمثاله، الذي كان يعلوه، والذي سمى بالصنم، يتضح لنا أنه لم يكن صورة مطابقة أو مصغرة لمنار الاسكندرية من حيث الشكل، وعدد الطوابق، فالمنار السكندري كان يتكون من ثلاثة طوابق وليس من اثنين كما في حالة منار قادس، أولها مربع الشكل، وثانيها مثمن، وثالثها اسطواني، يعلوه قبة بداخلها مرآة تعكس لهيب النار لهداية

---

[١٠٢] الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ٩٠.
[١٠٣] المصدر السابق، ص ٩٠ – وارجع إلى المؤلف المجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٦ – سحر سالم، مدينة قادس، ص ٤١.
[١٠٤] الزهرى، المصدر السابق، ص ٩٠.
[١٠٥] المسعودى، التنبيه والاشراف، ص ٦٩.

السفن، وفوقها تمثال من البرونز يمثل إله البحر بوسيدن[١٠٦] في حين أن تمثال منار قادس كان من النحاس.

كذلك أكدت المصادر العربية على أن منار قادس قد بنى لهداية السفن فحسب في حين أن منار الإسكندرية قد بنى لهداية المسافرين من جهة، ولرصد الفلك وكشف الغطاء وسعة السماء من جهة ثانية، وكان بأعلاه مرآة تعكس السفن المعادية القادمة من البحر من جهة ثالثة على حد ما ذكره ابن حوقل في كتابه صورة الأرض[١٠٧].

ومما سبق يتضح، وجود اختلاف في عدد الطوابق في كل من المنارين، وأيضا في الشكل الخاص لهذه الطوابق، وكذلك في نوع المادة التي صنع منها كل من التمثالين بأعلى المنارين، وفي وظيفة كل منار منهما، وبالتالي عدم دقة المصادر العربية التي شبهت المنار الايبيري، بالمنار السكندري. وقد تهدم منار قادس وتمثاله طبقا لما ذكره الزهري في سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م، أما منار الاسكندرية فقد تهدم في العصر المملوكي ثم بنى السلطان قايتباي على انقاضه برجه الشهير.

ونختتم هذا العنصر في الدراسة بذكر مظهر من مظاهر التشابه بين المنارين تمثل فيما أشيع حولهما من معتقدات وشائعات، ففي حالة منار قادس أشيع أن من يقدم على هدمه يموت مقتولاً[١٠٨] وقد كان، حين قام القائد على بن عيسى بن ميمون، بهدم صنم قادس، ظناً منه أنه كان محشوا بالذهب والكنوز. وقد مات مقتولا[١٠٩] أما منار الاسكندرية فقد حاول الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك هدمه، ظناً منه بوجود الجواهر الثمينة بداخله، غير أن أهالي الإسكندرية قد حالوا دون ذلك باحتجاجاتهم[١١٠].

٢- مدينة الإسكندرية البطلمية أنموذجاً لمدينة رباط الفتح الموحدية:

وننتقل بالدراسة إلى مدينة الإسكندرية البطلمية، وسوف نتناول ما ورد بشأنها في المصادر العربية في إطار نقطة نقطة محددة، وهي توضيح مدى تأثر خلفاء الموحدين

---

[١٠٦] لمزيد من التفاصيل ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية ص ٣٣، ٣٤.

[١٠٧] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٢ – المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٧٨.

[١٠٨] الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٤٩. ويذكر الحميرى أن على بن عيسى بن ميمون أقدم على هدم الصنم ظناً منه أن بداخله كنوزاً ضخمة وأنه محشواً بالتبر، "فدعا له الرجال والبناة، وأخذوا فى قطع حجر منه، وكلما قطعوا حجراً دعموا مكانه بدعامة من خشب، حتى وقف ذلك الجرم العظيم على الدعائم، ثم رموا إلى الخشب النار، بعدما ملأوا الخلل الذى بين الخشب حطباً، فسقط جميعه، وكانت له رجفة عظيمة واستخرج الرصاص المعقود بالحجارة والنحاس، الذى كان منه الصنم وكان مذهباً، وبردت فى يديه من مطلبه الخيبة" (الحميرى ص ٤٤٩).

[١٠٩] البيذق،كتاب أخبار المهدى بن تومرت،الجزائر،١٩٧٤،ص١٢٣– سحر سالم،مدينة قادس،ص٤٤.

[١١٠] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٧٧، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٤٨.

بالمغرب بها، من حيث تخطيط شوارعها المستقيم، الشطر نجي، عندما شرعوا في بناء مدينتهم رباط الفتح. من ذلك ما ذكره ابن خلكان في كتابه "وفيات الأعيان" أن الخليفة المنصور الموحدي إبتنى بالقرب من سلا سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م "مدينة عظيمة، سماها رباط الفتح على هيئة **الاسكندرية في اتساع الشوارع، وحسن التقسيم، واتقان البناء، وتحسينه وتحصينه**، وبناها بالبحر المحيط الذى هناك وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى ...."[١١١]. وقد نقل الناصري السلاوي هذا القول عن ابن خلكان[١١٢] ولم يكن ابن خلكان وحده هو الذي ربط في الشبه بين كل من الاسكندرية ورباط الفتح، فإن المؤرخ المغربي المعاصر للموحدين، عبد الواحد المراكشي قد ربط هو الآخر بين المدينتين، عندما ذكر في المعجب، أن مسجد رباط الفتح الذي عرف فيما بعد بجامع حسان "كبير المساحة، واسع الفناء جداً، لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مأذنة في نهاية العلو، على هيئة منار الاسكندرية، يصعد فيه بغير درج مصعد الدواب بالطين والأجر والجص وجميع مايحتاجه إليه إلى أعلاها، ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم..." [١١٣]

وقد جاءت شوارع مدينة رباط الفتح على هذا النحو من الاتساع وحسن التقسيم، لأن المدينة تمتعت بتخطيط مسبق لشوارعها ومرافقها أسوة بمدينة الاسكندرية، عندما شرع الاسكندر الأكبر فى بنائها. وتعتبر مدينة رباط الفتح على هذا النحو من الأمثلة النادرة للمدن الاسلامية، المحدثة، التى تميزت بتخطيط مسبق لأسوارها، ودورها، قبل الشروع فى بناء مسجدها الجامع، فجاءت صورة قريبة لمدينة الاسكندرية البطلمية على حد ما ذكرته بعض المصادر العربية. واختلفت عن المدن اسلامية البناء التي كان المسجد الجامع أول ما يبنى بها، ثم تليه بعد ذلك سائر المرافق، التى توصَّل فى النهاية بدروب وشوارع، تأتى متعرجة وبعيدة عن الاستقامة. وبدت بذلك رباط الفتح على حد وصف تيراس Terrasse "مدينة توزعت فيها شبكة منتظمة من الطرق الفسيحة على غرار تخطيط مدينة الاسكندرية"[١١٤].

لقد سبق تخطيط الرباط بناء مسجدها الجامع. فقد شرع الخليفة ابو يعقوب يوسف في تخطيط المدينة، وبناء اسوارها وأبوابها، قبل بناء مسجدها الجامع، الذي لم يُبَدأ العمل فيه، إلا في عهد الخليفة المنصور وذلك فقد جاء شكل شوارعها مختلفاً عن الشكل

---

[١١١] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، طبعة بيروت، حـ٧، ص ٩.

[١١٢] الناصرى السلاوى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ١٩٥٤، حـ٢، ص ١٨١ – وارجع كذلك إلى محمد بن على دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص ٤٢.

[١١٣] عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦٦.

[١١٤] Henri Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque Des Origines au IXXe Siecle, Paris, p 288, 289

التقليدي المعروف لشوارع المدن إسلامية الإنشاء. ويذكر عبد الواحد المراكشي نصاً يؤكد ذلك فهو يقول "وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها فعاقة الموت عن اتمامها"[١١٥] ويشير ابن صاحب الصلاة إلى هذه الحقيقة بقوله "وأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين هذا هو الذي مصّرها ومهدّها وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب..."[١١٦].

كذلك تشابهت المدينتان في كون كل منهما بحكم موقعها الجغرافي ثغراً ورباطاً. وكانت المصادر العربية قد أكدت على مكانة الاسكندرية كدار لصناعة السفن منذ العصر البطلمي، وعلى استمرارها في حمل هذه الصفة في العصر الإسلامي وقد أفاض الدكتور السيد عبد العزيز سالم في سرد أحداث بطولاتها البحرية طيلة العصر الوسيط. وفي ذات الوقت فإن المصادر تؤكد أيضا على محاكاة رباط الفتح للإسكندرية في هذا المضمار، حيث كانت بمدينة سلا المقابلة لمدينة الرباط، داراً لصناعة السفن. وكان باب هذه الدار مسامتاً لجامع حسان. كما أن مسمى المدينة في حد ذاته (رباط الفتح) يؤكد على الصفة الثغرية والجهادية التي كانت عليها هذه المدينة[١١٧].

أما آبار المياه بالإسكندرية التي وصفها البلوي، حيث أقام البطالمة بها في جوف الأرض قنواتاً لتوصيل المياة من ترعة شيديا إلى صهاريج وخزانات جوفية. وقد لاحظ الجغرافيون والمؤرخون المسلمون هذا التنظيم الدقيق. وقام بوصفه كل من المسعودي وابن جبير[١١٨] وبتحليل هذه الآراء التي وردت في المصادر الإسلامية عن وسائل البطالمة في تزويد الإسكندرية بالمياة الصالحة من خلال انشائهم الصهاريج والخزانات، مع ماورد في كتابات ابن خلكان وعبد الواحد المراكشي، والسلاوي، من تشابه رباط الفتح مع الإسكندرية نجد أن مظهراً آخراً من مظاهر هذا التشابه بين المدينتين تمثل في اهتمام خلفاء الموحدين بتزويد رباط الفتح بالسقايات منذ عهد عبد المؤمن بن على الذي مد السقاية من عين غبولة إلى موضع قصبة تاشفين (قصبة المهدية ونواة مدينة رباط

---

[١١٥] عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٦٦.

[١١٦] ابن صاحب الصلاة، تاريخ المتن بالإمامة على المستضعفين تحقيق د. عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٩.

[١١٧] لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة الرباط فى التاريخ الاسلامى – منذ انشائها حتى نهاية عصر بنى مرين، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦، ص ١٥٦، ١٦٣ وما يليها)

Caillé. J, La Ville De Rabat, Paris, 1946 Vol. I

[١١٨] المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٧٣ حيث يقول "وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة، يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به ...." – ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٤٥. وهو فى ذلك يقول "ومن العجب فى وضعه ان بناءه تحت الأرض الأرض كبنائها فوقه، وأعتق وأمتن لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضاً".

الفتح)[١١٩] أما الخليفة أبو يعقوب يوسف فقد قام عند زيارته لمدينة الرباط سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م بتجديد مشروع والده المائي، بعد أن لاحظ أن الماء بالمدينة قد أسن وفسد جريه، وأضاف صهريجا يتجمع فيه الماء[١٢٠] وقد أشار كل من صاحب الاستبصار والحميري، إلى وجود عدة سقايات وصهاريج للمياه بموضع رباط الفتح[١٢١].

وتشير بعض المصادر الإسلامية إلى أن الاسكندر قد توفى مسموماً أثناء عودته من الهند إلى بابل، وأنه وضع في تابوت ذهبي وحمل إلى الإسكندرية حيث دفن[١٢٢]. وقد هدف بطليموس قائده الذي حكم مصر من بعده، من ذلك، اسباغ الصفة الروحية على عاصمته الإسكندرية. وتؤكد المصادر الإسلامية المغربية على وفاة أكثر من خليفة موحدى برباط الفتح، ولعل أهمهم عبد المؤمن بن على الذي توفى بها سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[١٢٣] وتذكر المصادر أن الخليفة أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن دفن أولاً برباط الفتح، بعد عودته شهيداً من غزاته بشنترين ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وأن ولده يعقوب المنصور تلقى بها بيعته[١٢٤] ويؤكد ابن الخطيب على وفاة الخليفة محمد الناصر الموحدي بها أيضاً في ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[١٢٥] وقد اكسب ذلك مدينة رباط الفتح مكانة روحية ومعنوية اسوة بالإسكندرية.

ونختتم هذا العنصر الأخير من الدراسة، بقولنا بأنه إذا كانت الإسكندرية قد حظيت في العصور القديمة بشهرة تجاوزت الآفاق بفضل حسن تخطيطها، وروعة قصورها، وآثارها، ومكتبتها، ومنارها الذي كان يعد من عجائب الدنيا، فإن رباط الفتح كانت على حد تعبير المؤرخ المغربي بوجندار، من الأعاجيب، ويعبر عن ذلك بقوله"إن بناء الرباط هو من الأعاجيب التي اجراها الله على يد هذا السلطان الأعظم الدالة على اتساع

---

[١١٩] البيذق، أخبار المهدى، ص ١٣٢.

[١٢٠] ابن صاحب الصلاة، المن بالامامة، ص ٤٤٦ وما يليها – سحر سالم، مدينة الرباط، ص ١٥٨.

[١٢١] الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ – الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

[١٢٢] ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، طبعة دار الكتاب المصرى، الطبعة الأولى، ص ٥٨.

[١٢٣] ابن أبى زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أو بسالة، ١٨٤٣، ص ١٣١ – وارجع كذلك إلى (الغبرينى، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨ – محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط، تحقيق د. عبد الكريم كريم، الرباط، ١٩٨٧، ص ٣٩٧ – سحر سالم، مدينة الرباط، ص ١٥٩).

[١٢٤] ابن عذارى، البيان المغرب، فى اخبار المغرب، القسم الخاص بالموحدين، ص ١٧٢

[١٢٥] ابن الخطيب، شرح رقم الحلل فى نظم الدول تعليق وتقديم د. عدنان درويش، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

دائرة فكرته إذ قلما توجد مدينة على تلك الصفة إلا وواضعها رجل عظيم حكيم وقد أودع من بدائع الصنائع لديه...."[١٢٦].

الحواشي

١- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، الطبعة الثانية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩، المقدمة، ص٣-٥، والفصل الأول ص١١-٤٠.

٢- السيد عبد العزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة،أحد أبحاث مؤتمر الإسكندرية الدولى الأول حول التبادل الحضاري بين شعوب البحر المتوسط، ١٥، ١٩ يناير ١٩٩٤.حـ١،صـ١٦٠ ومايليها.

٣-السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، أحد بحوث كتاب بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، بيروت، ١٩٩٢. حـ٢، ص٤١٩.

٤-السيد عبد العزيز سالم، مجامع علمية إسلامية ومكتبات على غرار مكتبة الإسكندرية، أحد مقالات كتاب بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة، بيروت، ١٩٩٢، حـ١، ص٣٥١ ومايليها. ومن أهم هذه المكتبات الكبرى وما يتصل بها من بيوت الحكمة، بيت الحكمة في بغداد وبيت الحكمة برقادة (القيروان) ودار الحكمة بالقاهرة ودار العلم بطرابلس الشام.

٥-جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحالة العرب والأجانب، تقديم مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٢.

٦-المرجع السابق، ص١٠٠، ١٠١

٧-نفسه، ص٩٩

٨-اليعقوبي، كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩١، ص٣٣١

٩-ابن خرداذبة، المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، ص١٤١

١٠-ابن الفقيه، كتاب البلدان، طبعة بريل، ١٣٠٢، ص٧٣.

١١-ذكرها الطبري في كتابه "جامع البيان في تفسيرالقرآن" وأشار إلى أن مراكب كل من فرعون، موسى عليه السلام قد وصلت إلى مدينة منف وقد تغلقت أسوارها وليس

[١٢٦] محمد بوجندار، مقدمة الفتح، طبعة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٣٤٥هـ، ص٧٧

بها أحد من أهلها. (ارجع إلى المقريزي، الخطط المقريزية، طبعة القاهرة، تحقيق محمد زينهم ومديحة شرقاوي، حـ١، ص٣٨٠).

١٢- ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة بيروت، ١٩٥٦، مادة منف.

١٣-عبد اللطيف البغدادى، الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨، ص ٩٩.

١٤-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.

١٥-يذكر ابن خرداذبة ما نصه "منف مدينة فرعون التى كان ينزلها واتخذ لها سبعين باباً، وجعل حيطان المدينة بالحديد والصفر" (المسالك والممالك، ص ١٤١). وقارن ما ذكره ابن خرداذبة مع ما ذكره ابن الفقيه من نفس الاشارات (كتاب البلدان ص ٧٣).

١٦-ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٤١.

١٧-ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٣.

١٨-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.

١٩-المصدر السابق، حـ ١، ص ٣٨٠.

٢٠-أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٤٩.

٢١-المرجع السابق، ص ٢٥١ – ويرجع هذا الرأى إلى الدكتور عبد العزيز صالح (حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٨٤).

٢٢-يرى هذا الرأى الدكتور حسن السعدى ولمزيد من التفاصيل ارجع إلى (أحمد البربرى المرجع السابق، ص ٢٥١)

٢٣-نفسه، ص ٢٥٥. وعن بقية المسميات الخاصة بمنف فى الكتابات المصرية القديمة مثل (شروق الأرضين خع تاوى Hc-Bwy) والشروق الجميل (H-nfr- خع نفر) و(حوت كابتاح – مقر روح الاله بتاح Hwt-K3-pth)) وغيرها ارجع (للمرجع السابق، ص ٢٥٤ وما يليها).

٢٤-أحمد فخرى، مصر الفرعونية، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو ١٩٧٨، ص ٧٦- محمد بيومى مهران، مصر منذ أقدم العصور حتى قيام الملكية، الطبعة الرابعة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٨، ص ٣٢٨ – أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، ص ٢٦٠.

٢٥-هيرودوت: يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢١٢، ٢١٣- أحمد البربرى، عواصم مصر، ص ٢٦١.

٢٦-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٨٠.

٢٧-المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨، حـ١، ص ٣٤٤. وعن عصر دخول النبى يوسف عليه السلام إلى مصر والآراء المختلفة – ارجع إلى (محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، اسرائيل الجزء الثانى، الاسكندرية، مطبعة الأمانة، ١٩٧٣، ص ٢٤٢ وما يليها ويرى الدكتور مهران أن النبى يوسف قد دخل مصر فى عصر الهكسوس.

٢٨-أحمد البربرى، عواصم مصر، ص ٢٨٠، ٢٨١.

٢٩-المرجع السابق، ص ٢٨٢ – ٢٨٥.

٣٠-من هؤلاء نافيل Naville وبترى Petrie وسايس والدكتور عبد الحميد زايد – ولمعرفة المزيد من التفاصيل عن هذه الآراء ارجع إلى (محمد بيومى مهران، دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، اسرائيل (٢)، ص ٢٩٢ وما يليها.

٣١-أحمد البربرى، عواصم مصر القديمة، ص ٢٨٧.

٣٢-لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام، بيروت، ١٩٧٢، ص ٨٩، ٩٠).

٣٣-ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٨١، ابن الفقيه، البلدان، ٧٣.

*تعنى كلمة البربا فى القاموس اللاتينى، اللحية Barba وهى كلمة مؤنثة، كما تعنى (القشرة) أو الشئ الزائد عن الجسد الأصلى –

Latin English Dictionary, Oxford, 1976.

وقد أطلقها المسلمون على التصاوير والمعابد والتماثيل والمجسمات.

٣٤-المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محى الدين عبد الحميد حـ١، القاهرة ١٩٥٨، ص ٣٦٠.

٣٥-ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ١٤٨.

٣٦-الادريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٦.

٣٧-ابن جبير، رحلة ابن جبير، طبعة دار الكتاب اللبنانى، تقديم د. محمد مصطفى زيادة، ص ٥٨.

٣٨-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، طبعة المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٥٨، حـ١، ص ٢٨.

٣٩-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٥.

٤٠-عرفت الآثار المصرية القديمة التى كانت تحتوى على صور أو تماثيل فى المصادر الاسلامية بالبرابى أو البربا (وقد أطلق كل من ابن حوقل والادريسى وابن بطوطة والمقريزى هذا المسمى على الأثر الذى نتناوله بالدراسة فى اخميم).

٤١-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨، ٥٩.

٤٢-ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤٨.

٤٣-الادريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٦.

٤٤-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨.

٤٥-المصدر السابق، ص ٥٨.

٤٦-نفسه، ص ٥٨.

٤٧-نفسه، ص ٥٩.

٤٨-نفسه، ص ٥٩.

٤٩-ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، حـ١ ص ٢٩.

٥٠-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٦.

٥١-ينثنى نهر النيل انثناءة نصف دائرية عند مدينة اخميم مما أدى إلى ترسب الغرين والطمى بصفة مستمرة فى هذا الموقع مما جعلها من أخصب الأقاليم الزراعية فى الصعيد على الاطلاق (منصور النوبى منصور، اخميم عاصمة الاقليم التاسع، دراسة تاريخية منذ بداية الأسرات حتى نهاية عصر الانتقال الأول – رسالة ماجستير – كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط، ١٩٨٩، ص ٨).

٥٢-المرجع السابق، ص ٢٧٢.

٥٣-ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٨.

٥٤-المصدر السابق، ص ٥٨.

٥٥-جيمس بيكى، الآثار المصرية فى وادى النيل، ترجمة لبيب حبشى، حـ٢، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٤٩ – منصور النوبى، المرجع السابق، ص ١٢.

٥٦-ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٩، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٧.

٥٧-جيلان عباس، آثار مصر القديمة، ص ٨١.

٥٨-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٦٧ – وقد أخذ عنه المقريزى هذا الخبر فى الخطط، حـ١، ص ١٢٦.

٥٩-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٥٩.

٦٠-نفسه، حـ١، ص ٣٥٩. وقد أخذ عنه المقريزى هذا الخبر، فى الخطط، حـ١، ص ١٢٢.

٦١-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٥٩.

٦٢-نفسه، حـ١، ص ٣٦١ – ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٢.

٦٣-المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٦٦٧.

٦٤-المصدر السابق، حـ١ ص ٦٦٧.

٦٥-منصور النوبى، المرجع السابق، ص ٢٦٣ – ٢٦٥.

٦٦-ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ٢٣، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٢٤. وقد عثر المأمون بداخل الهرم على مال وزنه ووجد أنه يقدر بنفس قدر ما أنفق فى الحفر والنقب فتعجب لذلك.

٦٧-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٤٧ – ٣٥٦، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٨.

٦٨-المصدر السابق، حـ١، ص ٣٦٨ – المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٧.

٦٩-عبد اللطيف البغدادى، كتاب الافادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر،الطبعة الثانية،الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٨،ص٨٩،٩٠ .

٧٠-المصدر السابق، ص ٩٥.

٧١-ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٦، حـ١، ص ٥١٠ – أحمد فخرى، الأهرامات المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٧.

٧٢-المرجع السابق، ص ٣٦.

٧٣-الأدريسى، نزهة المشتاق، حـ١، ص ١٢٤ – وعن مسمى قوريدس ارجع إلى ياقوت الحموى، حـ١، ص ٥٠٩.

٧٤-الكندى،كتاب الولاة وكتاب القضاة، تحقيق– رفن كست بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٤.

*ياقوت الحموى، معجم البلدان حـ١، ص ٥١٠.

٧٥-ابن الفقيه، البلدان، ص ٧٣.

٧٦-عبد اللطيف البغدادى، المصدر السابق، ص ٩٧.

٧٧-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٢٦٦.

٧٨-عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ١١٠.

٧٩- المصدر السابق، ص ١١٠ – المقريزى، الخطط، حـ١، ص ١٢٧.

٨٠-لا علاقة لكلمة Mummy التى تعنى مومياء عند كل من اليونان والرومان بمومياوات المصريين – فكلمة "موميا" عند الرومان فى اللغة اللاتينية، تعبر عن أسماء رومانية لأشخاص عاديين. أما كلمة Mummy التى تعنى المومياء المصرية، فهى كلمة من أصول فارسية Mumayim وهى مشتقة من الكلمة الفارسية Mum والتى تعنى الشمع – لأن الشمع والتوابل كانت تستخدم فى عملية التحنيط.

Etymological Dicctionary, London, Chambers 1936.

ومن خلال هذا التعريف نرجح أن تكون كلمة مومياء قد ظهرت للتعبير عن الموتى المحنطين من المصريين القدماء عندما غزا الفرس مصر فى العصر القديم.

٨١-المصدر السابق، ص ١٠٨.

٨٢-نفسه، ص ١٠٨.

٨٣-نفسه، ص ١٠٨.

٨٤-نفسه، ص ١١٠، ١١١.

٨٥-نفسه، ١١٠.

٨٦-نفسه، ١١١.

٨٧-نفسه، ص ١٠٩.

٨٨-السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخين العرب، طبعة مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧، ص ٢١٩.

٨٩-عبد اللطيف البغدادى، الافادة، ص ١٣٢ وما يليها.

٩٠-المصدر السابق، ص ١٣٦.

٩١-نفسه، ص ١٠٩.

٩٢-بدأت عملية التحنيط فعلياً لأجساد الموتى من المصريين القدماء منذ عصر الأسرة الثالثة. ولكن المقابر المصرية القديمة قبل الألف الثالثة ق.م، تضمنت دلائل واشارات توحى بمحاولة المصريين المحافظة على جسد الميت حتى يبعث مرة أخرى، ففى عصور ما قبل الأسرات، كان الموتى يدفنون فى حفر قليلة العمق تغطى بالجلدوالحصير.

[James, T.G, Ancient Egypt, British Museum, 1987, p. 157]

وكان يدفن فيها الموتى فى وضع القرفصاء. وكذلك طريقة الدفن فى حضارة البدارى التى ابتكر المصريون خلالها وأضافوا فى طريقة دفنهم لموتاهم فقد وضعوهم على هيئة القرفصاء فوق لوحة خشبية بسيطة، كما بطنوا فى بعض الأحوال جوانب القبر بالحصير، ووضعوا وسائداً تحت رءوس موتاهم. (محمد بيومى مهران، مصر منذ أقدم العصور وحتى قيام الملكية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص ٢٤٩). ولكن لم تتم فى هذه المرحلة أية عمليات خاصة بالتحنيط حيث كان يتم تغطية الجثة بحصير من البوص وأحياناً تلف فى جلد الماعز وفى بعض الحالات كان يلف حول الجسم نسيج من القماس تحت جلد الماعز

[Murray, M.A, Burial Customs and Beliefs in the Hereafter in the predynastic Egypt, Jea, 42, 1956, p 87].

ولكن هذه الطريقة كانت تحول دون تعرض الجسم للحرارة والرمال لأن تبطين جوانب المقبرة كان يمنع تأثير العوامل الطبيعية على حفظ المومياء الأمر الذى أدى إلى نتائج عكسية أسفرت عن تحليل وفناء المومياء ومن ثم فقد عملوا على المحافظة على المظهر الخارجى للجثة بطرق شتى منها لف الجثة بلفائف من الكتان وتغطية الرأس بقناع من الجص والكتان معاً (وفاء أحمد السيد بدار، الطب والأطباء فى مصر الفرعونية حتى نهاية عصر الدولة الحديثة – دراسة تاريخية وحضارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب – الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ٩٧). وعن عملية التحنيط ومراحلها والمواد المستخدمة فيها، ارجع إلى (زكى اسكندر، التحنيط فى مصر القديمة، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٠ وما يليها، وفاء بدار، المرجع السابق، ص ١٠٤ وما يليها). وعن خطوات نزع الأحشاء من

الجثة ارجع إلى (هيرودوت يتحدث عن مصر، ترجمة محمد صقر خفاجة، تقديم أحمد بدوى، القاهرة، ١٩٥٦، ص ١٩٤ وما يليها).

٩٣-لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية، ص ٣١).

٩٤-ابن بطوطة، الرحلة، حـ١، ص ١٣، ١٤.

٩٥-الزهرى، كتاب الجغرافيا، تحقيق محمد حاج صادق، دمشق، ١٩٦٨، ص ٩٠ - سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة قادس ودورها فى التاريخ السياسى والحضارى للأندلس فى العصر الاسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٤٠.

٩٦-حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد، ١٩٦٧، ص ٣١١.

٩٧-كان يعلو منار الاسكندرية تمثال ضخم من البرونز ارتفاعه سبعة أمتار يمثل إله البحر بوسيدون (السيد عبد العزيز سالم، تأثير منار الاسكندرية فى عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس، ص ١٨٥).

٩٨-المسعودى، التنبيه والاشراف، ليدن، طبعة مصورة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٦٩.

٩٩-البكرى، جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق د. عبد الرحمن الحجى، بيروت، ١٩٦٨، ص ٧٠ – الجغرافى مجهول الاسم، ذكر بلاد الأندلس، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣، ص ٦٦ – الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، ١٩٨٤، ص ٤٤٨. ويسوق كل من ياقوت الحموى والمقربا رواية جاء فيها أن أحد ملوك الاغريق بجزيرة قادس كانت له ابنة جميلة تنافس ملوك الأندلس على خطبتها، فاشترطت الابنة على المتنافسين أن ينشئوا رحى بقادس لاستخدامها فى حصولهم على أقواتهم اليومية أو أن يتخذوا طلسماً ليحصنوا به الأندلس وكان هذا الطلسم هو صنم قادس (انظر ياقوت معجم البلدان، مادة قادس – المقرى، نفح الطيب من غصن الأندلس الطيب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٤٩، حـ١، ص ٢٢٩ – ص ٢٣١).

١٠٠-حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص ٣٨٧ – سحر سالم، مدينة قادس ص ٤١.

١٠١-الزهرى، كتاب، الجغرافية، ص ٩٠ – وارجع إلى ما ذكره الحميرى المصدر السابق، ص ٤٤٨.

١٠٢-الزهرى، كتاب الجغرافية، ص ٩٠.

١٠٣-المصدر السابق، ص ٩٠ – وارجع إلى المؤلف المجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٦ – سحر سالم، مدينة قادس، ص ٤١.

١٠٤-الزهرى، المصدر السابق، ص ٩٠.

١٠٥-المسعودى، التنبيه والاشراف، ص ٦٩.

١٠٦-لمزيد من التفاصيل ارجع إلى السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية ص ٣٣، ٣٤.

١٠٧-ابن حوقل،صورة الأرض،ص١٤٢–المسعودى،مروج الذهب،حـ١، ص ٣٧٨.

١٠٨-الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٤٩. ويذكر الحميرى أن على بن عيسى بن ميمون أقدم على هدم الصنم ظناً منه أن بداخله كنوزاً ضخمة وأنه محشواً بالتبر، "فدعا له الرجال والبناة، وأخذوا فى قطع حجر منه، وكلما قطعوا حجراً دعموا مكانه بدعامة من خشب، حتى وقف ذلك الجرم العظيم على الدعائم، ثم رموا إلى الخشب النار، بعدما ملأوا الخلل الذى بين الخشب حطباً، فسقط جميعه، وكانت له رجفة عظيمة واستخرج الرصاص المعقود بالحجارة والنحاس، الذى كان منه الصنم وكان مذهباً، وبردت فى يديه من مطلبه الخيبة" (الحميرى ص ٤٤٩).

١٠٩-البيذق، كتاب أخبار المهدى بن تومرت، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٢٣ – سحر سالم، مدينة قادس، ص ٤٤.

١١٠-المسعودى،مروج الذهب،حـ١،ص ٣٧٧،المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٣٤٨.

١١١-ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، طبعة بيروت، حـ٧، ص ٩.

١١٢-الناصرى السلاوى، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء، ١٩٥٤، حـ٢، ص ١٨١ – وارجع كذلك إلى محمد بن على دنية، مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء وصلحاء الرباط، الرباط، ١٩٨٦، ص ٤٢.

١١٣-عبد الواحد المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٢٦٦.

114-Henri Terrasse, L'Art Hispano-Mauresque Des Origines au IXXe Siecle, Paris, p 288, 289.

١١٥-عبد الواحد المراكشى، المعجب، ص ٢٦٦.

١١٦-ابن صاحب الصلاة، تاريخ المتن بالإمامة على المستضعفين تحقيق د. عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤، ص ٤٤٩.

١١٧-لمزيد من التفاصيل ارجع إلى (سحر السيد عبد العزيز سالم، مدينة الرباط فى التاريخ الاسلامى – منذ انشائها حتى نهاية عصر بنى مرين، الاسكندرية مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٦، ص ١٥٦، ١٦٣ وما يليها)

Caillé. J, La Ville De Rabat, Paris, 1946 Vol. I

١١٨-المسعودى، مروج الذهب، حـ١، ص ٣٧٣ حيث يقول "وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة، عليها دور المدينة، يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به ...." – ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٤٥. وهو فى ذلك يقول "ومن العجب فى وضعه ان بناءه تحت الأرض الأرض كبنائها فوقه، وأعتق وأمتن لأن الماء من النيل يخترق جميع ديارها وأزقتها تحت الأرض فتتصل الآبار بعضها ببعض ويمد بعضها بعضاً".

١١٩-البيذق، أخبار المهدى، ص ١٣٢.

١٢٠-ابن صاحب الصلاة،المن بالامامة،ص ٤٤٦وما يليها – سحر سالم، مدينة الرباط، ص ١٥٨.

١٢١-الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، ١٩٥٨، ص ١٤٠ – الحميرى، الروض المعطار، ص ٣١٩.

١٢٢-ابن العبرى،تاريخ مختصر الدول،طبعة دار الكتاب المصرى،الطبعة الأولى، ص ٥٨.

١٢٣-ابن أبى زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق تورنبرج، أو بسالة، ١٨٤٣، ص ١٣١ – وارجع كذلك إلى (الغبرينى، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٨ – محمد بوجندار، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط،

تحقيق د. عبد الكريم كريم، الرباط، ١٩٨٧، ص ٣٩٧ – سحر سالم، مدينة الرباط، ص ١٥٩).

١٢٤-ابن عذارى،البيان المغرب،فى اخبار المغرب،القسم الخاص بالموحدين، ص١٧٢.

١٢٥-ابن الخطيب، شرح رقم الحلل فى نظم الدول تعليق وتقديم د. عدنان درويش، دمشق، ١٩٩٠، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

١٢٦-محمد بوجندار، مقدمة الفتح، طبعة الجريدة الرسمية، الرباط، ١٣٤٥هـ، ص٧٧.